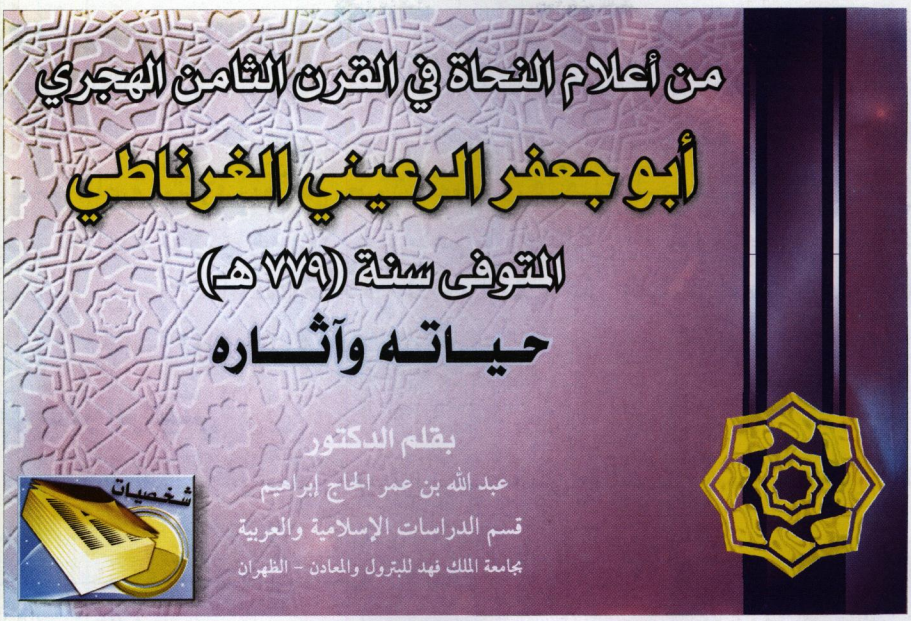

مقدمة

الحمد لله باريء النَّسم، ومفيض النِّعم، وموجد الكائنات من العدم، أحمده على جزيل آلائه، وأشكره على سوابغ نعمائه، تفضَّل على الإنسان باللسان، وميزه عن سائر الحيوان بالبيان، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمّد، أشرف من أقلته قدم، وعلى آله وصحبه الهادين مصابيح الظلم.

وبعد، فإن العلم كنز لا يفنى، ومغنىً فيه من الخيرات كل معنى، والعربية مفتاح أبوابه، والأداة الموصلة إلى استخراج لبابه، تخيَّرها الله لإنزال كتابه، وأنطق بها من أرسله بسدادِ القول وصوابه، فالحاجة إليها شديدة، والآراء في تعلُّمها سديدة، فهي ترجمان القرآن، ووسيلته في الإيضاح والبيان.

ولقد قيَّض الله لهذه اللغة الخالدة علماء أجلاء، صانوا كرامتها وحفظوا وُدَّها، وأفنوا في سبيل إرساء قواعدها ورصد ظواهرها أعزَّ ما يملكون من طارف وتليد،

فصنّفت الكتب، ووضعت الشروح، ونظمت الأراجيز، فغني التراث، وازدهت المعرفة.

وكان من بين هؤلاء الأعلام الذين كان لهم أثر حميد، في القرن الثامن الهجري أبوجعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي المتوفى سنة (٧٧٩هـ)، الذي ترك لنا آثاراً نفيسة، تدل على رسوخ قدمه، وعلو كعبه في علوم العربية بعامة، والنحو بخاصة. وسوف نعرض بعون الله تعالى في هذا المبحث إلى حياة الرعيني، ومسيرته العلمية، وشيوخه وتلاميذه، وأهم ما وصلنا من آثاره، ومذهبه واختياراته النحوية، من خلال ما وقفنا عليه من شرحه العظيم على ألفية ابن معطٍ، رحمه الله، وأثره في الخالفين بعده.

أبوجعفر الرعيني[1]

هو شهاب الدين، أبوجعفر، أحمد بن يوسف بن مالك بن إسماعيل بن أحمد

---

(١) أنظر ترجمته في:

١- «الوافي بالوفيات للصفدي» (٨/ ٣٠٥)، و«الذيل على العبر للولي العراقي» (٢/ ٤٧٣)، و«غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري» (١/ ١٥١)، و«الدر المنتخب لابن خطيب الناصرية» (١/ ١٢٨) (مخطوط)، و«السلوك للمقريزي»/ القسم الثالث (١/ ٣٢٥)، و«درر العقود للمقريزي» أيضاً (٢/ ٣١٤)، و«الإعلام بتاريخ الإسلام لابن قاضي شهبة» (١/ ٢٤٨) (مخطوط)، و«الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني» (١/ ٣٦١)، و«إنباء الغمر بأنباء العمر» له أيضاً (١/ ٢٤٤)، «والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي» (١١/ ١٨٩)، و«المنهل الصافي» له أيضاً (٢/ ٢٧٠)، و«الدليل الشافي» له أيضاً (١/ ٩٨)، و«كنوز الذهب في تاريخ حلب لأبي ذر» (١٦٨) (مخطوط)، و«التحفة اللطيفة للسخاوي» (١/ ٢٧٤)، و«الذيل التام على دول الإسلام» له أيضاً (٣٠٢)، و«بغية الوعاة للسيوطي» (١/ ٤٠٣)، و«بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس» (القسم الأول) (٢/ ٢٢٢)، و«مفتاح السعادة لطاش كبري زادة» (١/ ١٨١)، و«درة الحجال لابن القاضي المكناسي» (١/ ٦٢)، و«نفح الطيب للمقري» (٢/ ٦٧٥)، (٧/ ٣٧١)، و«كشف الظنون لحاجي خليفة» (١/ ٢٣٤)، (٢٦٢)، (٦٨٨)، و«شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي» (٨/ ٤٤٩)، و«إيضاح المكنون للبغدادي» (١/ ١١١)، و«هدية العارفين» له أيضاً (١/ ١١٤)، و«إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للطباخ الحلبي» (٥/ ٧٣)، و«الأعلام للزركلي» (١/ ٢٧٤)، و«معجم المؤلفين لكحالة» (٢/ ٢١٣)، و«تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ» (٦/ ٥٢٨).

كما أن للرعيني أخباراً في المراجع المذكورة آنفاً في أثناء ترجمة رفيقه محمّد بن أحمد بن جابر الهواري، وكذلك وردت له أخباراً في مراجع أخرى، اكتفيت عنها بما أسلفت.

الرعيني الغرناطي الأندلسي الإلبيري الحلبي المالكي البيري.

فالرعيني نسبة إلى (رعين) قبيلة باليمن، تنسب إلى (ذي رعين) من ملوك اليمن وأذوائها[1].

والإلبيري نسبة إلى (إلبيرة) بقطع الهمزة، منطقة كبيرة من بلاد الأندلس، من مدنها قسطيلية وغرناطة، وبينها وبين غرناطة ستة أميال، وإليها ينسب كثير من أهل العلم، وبساحلها كان نزول عبدالرحمن الداخل حين عبوره إلى الأندلس[2].

والبيري نسبة إلى (البِيرَة) قرية من قرى حلب على شاطئ الفرات[3].

مولده:

أما عن مولد الرعيني، فأكثر المصادر لم تتعرض له، إلا أن بعضهم أشار إلى أنه كان في حدود السبعمائة[4]، وقال الصفدي[5]: «وسألته [أي الرعيني] عن مولده فقال: سنة ثمانٍ أو تسعٍ وسبعمائة».

أما عن مكان ولادته، فقد نقل السخاوي عن ابن فرحون، أنها كانت في مدينة غرناطة[6].

نشأته ورحلاته العلمية:

نشأ أبو جعفر في غرناطة، وبها بدأ تعلمه على يد أشياخها، كالقيجاطي

(١) انظر «اللباب في تهذيب الأنساب» (٦/ ١٣٩).
(٢) «معجم البلدان» (١/ ٢٤٤)، و«الروض المعطار» (٢٨).
(٣) «مراصد الاطلاع» (١/ ٢٤٠)، و«التاج» (بير).
(٤) «الدر المنتخب» (١/ ١٢٨)، و«المنهل الصافي» (٢/ ٢٧٠).
(٥) «الوافي بالوفيات» (٨/ ٣٠٥)، وانظر: «التحفة اللطيفة» (٣/ ٤٨٣).
(٦) «التحفة اللطيفة» (٣/ ٤٨٣).

والبيسوي[1]، وفي هذا الميدان التقى برفيقه ابن جابر الهوَّاري (ت ٧٨٠هـ)، فتعاهدا على الصحبة، ولزم كل منهما صاحبه، لا يفارقه إلا في خاصة أمره، وقد كان لصحبتهما هذه شأن كبير في حياتهما، حتى إنهما أصبحا يعرفان بالأعمى والبصير، أو بالأعميين، ويصور ابن فرحون لنا هذه الصحبة فيقول[2]:

«وأخوَّة هذين الشيخين واتفاقهما في الأخلاق والأقوال والأفعال لم أرَ مثلها ولم أسمع بذلك، لا يملك أحدهما دون أخيه شيئاً، ولا يتخصص عنه بشيء من أمور الدنيا، قلَّ أو جلَّ، ولا يلبس أحدهما غير ملبس الآخر، لكل واحد منهما مثل ما لصاحبه، إن فصلا ثيابا، فمن نوع واحد، ومن لون واحد، وكذا في العمائم والفوط... وإذا لبسا لبسا لوناً واحداً بياضاً كان أو غيره، ولا يمكن أن يغير أحدهما لباساً دون الآخر، ويأكلان جميعاً، ويرقدان جميعاً في بيت واحد، وأعرضا معاً عن الزواج والتسري رغبة في دوام الصحبة، وخوفاً من أسباب الفرقة، وكان معهما مملوك يخدمهما... وكان صاحب الترجمة -يعني ابن جابر- ضريراً بسبب جدري، أصابه في صغره، بعد دخوله المكتب في أواخر السنة الخامسة من عمره، فكان يعتمد على رفيقه في خروجهما إلى المسجد ورجوعهما.

وفي بلادهما كانا كذلك، لا يفترقان أصلاً...

ومن أعجب الأشياء أنهما يمرضان جميعاً ويصحان جميعاً، كما شاهدته منهما في المجاورة الثانية، مرض أبوجعفر في يوم وأبوعبدالله في اليوم الثاني، وتمادى بينهما المرض مدة طويلة...».

ويخبرنا معاصرهما لسان الدين بن الخطيب[3] في أثناء حديثه عن ابن جابر عن صحبتهما فيقول: «وتظافر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإلبيري، صارا

---

(١) «غاية النهاية» (١/ ١٥١).

(٢) فيما نقله عنه السخاوي في «التحفة اللطيفة» (٣/ ٤٨٢).

(٣) «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٢/ ٢٣٠).

روحين في جسد، ووقع الشعر منهما بين لحيي أسد، وشمرا للكدية، فكان وظيف الكفيف النظم، ووظيف البصير الكتب، وانقطع الآن خبرهما».

وعنها يقول ابن الجزري[1]: «فكان بينهما من الإتفاق ما يتعجب منه».

هكذا قدر لمسيرة حياة هذين الرجلين ليضربا مثلاً فريداً في الأخوة والصحبة.

ويبلغ أبوجعفر الثلاثين من عمره، فيقرر الهجرة إلى بلاد المشرق برفقة صاحبه (في سنة ٧٣٨هـ)، يغادر غرناطة وأعلام نجد أمام ناظريه تلوح، وحمائمه تشدو على الأيك وتنوح فينشد[2]:

ولما وقفنا للوداع وقد بدت ... قباب قبا نجد على ذلك الوادي
نظرت فألفيت السبيكة فضة ... لحسن بياض الزهر في ذلك النادي
فلما كستها الشمس عاد لجينها ... لنا ذهبا فاعجب لإكسيرها البادي

وفي طريق رحلته عرج أبوجعفر على بلاد المغرب، وطوَّف في أرجائها، فأخذ العلم عن شيوخها، ثم تابع مع صاحبه المسير، فدخلا سبتة[3]، والإسكندرية[4]، ثم حجا ودخلا القاهرة، فسمعا أثير الدين أبا حيان الأندلسي وغيره[5]، ثم دخلا دمشق سنة (٧٤١هـ)، ونزلا بالأشرفية دار الحديث[6]، وسمعا من جلة أشياخها كالمزي وابن عبدالهادي وابن عبدالدائم وغيرهم[7]، وفيها التقيا بصلاح الدين الصفدي، ثم توجها

---

(١) «غاية النهاية» (٢/ ٦٠).

(٢) «طراز الحلة» (١١١-١١٢).

(٣) «طراز الحلة» (٢٩١).

(٤) المصدر السابق.

(٥) «غاية النهاية» (١/ ١٥١)، و«الدرر الكامنة» (١/ ٣٦١)، و«إنباء الغمر» (١/ ١٥٩)، و«إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٥/ ٧٥).

(٦) «الوافي بالوفيات» (٨/ ٣٠٥).

(٧) «غاية النهاية» (١/ ١٥١)، و«الدرر الكامنة» (١/ ٣٦١).

إلى بعلبك وسمعا من فاطمة بنت اليونيني[١]، ثم توجها إلى حلب، ورحلا إلى ماردين[٢]، ثم رجعا إلى حلب، واستقر بهما المقام في «البيرة» على شاطيء الفرات، وأقاما فيها نحواً من ثلاثين عاماً، ذاع فيها صيتهما، وانتشر أمرهما، حتى أصبحا ملاذاً للقربى، وملجأ للمظلومين، شفاعتهما مقبولة، وكلمتهما عالية[٣]، رتب لهما السلطان ما يكفيهما، وخدمهما رؤساء البلاد وسراة الناس، ومدحهما الأدباء وكتاب الإنشاء[٤].

ولهما في حلب مسجد، في درب بني سوادة، كان يعرف قبل فتنة تيمور بمسجد النحاة نسبة إليهما[٥].

وقد حج أبوجعفر من حلب مراراً مع رفيقه ابن جابر، وجاور مرتين بالمدينة النبوية الشريفة[٦]، وقرئت عليه هناك بعض كتب العربية والحديث وغيرهما.

هكذا بقي أبوجعفر مع صاحبه مدة حياتهما إلى أن افترقا قبل موتهما بالقلوب؛ لأن أباعبدالله بن جابر الهواري تزوج بالبيرة[٧]، وأقام بها، وعندها اتجه أبوجعفر إلى حلب، ليقضي بقية أيام حياته، إلى أن وافته منيته في منتصف شهر رمضان من سنة تسع وسبعين وسبعمائة، ودفن بمقابر الصالحين، وكانت جنازته مشهودة، ورثاه رفيقه ابن جابر بقصيدة طنانة بلغت (٧٨) بيتاً، قال في مطلعها[٨]:

---

(١) «غاية النهاية» (١/ ١٥١).

(٢) «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٥/ ٧٥).

(٣) «التحفة اللطيفة» (٣/ ٤٨٤).

(٤) «التحفة اللطيفة» (٣/ ٤٨٣).

(٥) «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٥/ ٧٣).

(٦) كانت الأولى سنة (٧٥٥-٧٥٦هـ)، والثانية سنة (٧٦٥-٧٦٦هـ) «طراز الحلة» (٣٠٧)، «غاية النهاية» (١/ ١٥١)، و«التحفة اللطيفة» (٣/ ٤٨٢)، و«إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٥/ ٧٥).

(٧) «كنوز الذهب» (١٦٩)، و«إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٥/ ٧٣).

(٨) القصيدة طويلة أوردها بكاملها أبوذر في «كنوز الذهب لوحة» (١٦٩-١٧١)، و«الطباخ الحلبي في إعلام النبلاء» (٥/ ٧٥-٧٨).

لقد عز مفقود وجل مصاب ... فللخد من حمر الدموع خضاب
مصاب لعمري ما أصيب بمثله ... ولا أنا فيما بعد ذاك أصاب
فإن أبك لم أعتب وإن أرَ صابرا ... فليس على الصبر الجميل عتاب
بكيت ولكن لم أجد ذاك نافعا ... ولا فيه إلا أن يضيع ثواب
فأبت بحسن الصبر وهو أجل ما ... إليه إذا جل المصاب يؤاب
لعمرك ما الدنيا بدار إقامة ... فللناس عنها رحلة وذهاب

علمه، وخلقه، والثناء عليه:

لقد أفاد الرعيني من رحلته هذه كثيراً، حيث التقى بكثير من الأشياخ، وأخذ عن جلَّتِهم في مختلف الأقطار، حتى برع في كثير من العلوم، فذاع صيته، وانتشر أمره مع صاحبه، فترجم له العلماء، وذكروه بخير ذكر، وأثنوا عليه ثناء عاطراً، فوصفوه بالعلم، وحسن الخلق، وكثرة العبادة، والتواضع وحسن المعاملة، وأنه كان دَيِّناً، حلو المحاضرة، ثقة، حجة.

قال عنه ابن الجزري[1]: «إمام نحوي شيخنا».

وقال عنه ابن خطيب الناصرية[2]: «كان دينا ثقة حجة»، وقال: «كان إماماً عالماً فاضلاً أديباً ماهراً في النثر والنظم، مجيداً فيهما، مكثراً بارعاً في النحو والبيان والتصريف والبديع، متقناً لكلام العرب».

وقال المقريزي[3]: «كان عالماً بالنحو والتصريف والبديع والعروض، يجيد قراءة الحديث، ويشارك فيه مشاركة جيدة، وله يد طولى في الأدب وإتقان لعلم اللغة».

---

(١) «غاية النهاية» (١/ ١٥١).
(٢) «الدر المنتخب» (١/ ١٢٨).
(٣) «درر العقود الفريدة» (٢/ ٤٢٧).

وقال تلميذه طاهر بن حبيب[1] : «كان حسن الخلق والأخلاق، جميل المصاحبة للإخوان والرفاق، عالماً بالنحو والتصريف والبديع، كاشفاً عن وجه العروض كل حجاب منيع، مجيداً في قراءة الحديث، عارفاً بالقديم من رواته والحديث، ذا يد طولى في فن الأدب، وإتقان لمعرفة كلام العرب».

وقال ابن حجر[2] : «وكان أبوجعفر مقتدراً على النظم والنثر، عارفاً بالنحو وفنون اللسان، ديناً، حسن الخلق، حلو المحاضرة، كثير التواليف في العربية وغيرها».

وقال أيضاً[3] : «وكان أبوجعفر كثير العبادة».

وقال لسان الدين بن الخطيب[4] : «أبوجعفر دمث، متخلق، متواضع، أوحد زمانه في العربية، حسن المعاملة».

وقال ابن تغري بردي[5] : «الشيخ الإمام العلامة، كان إليه المنتهى في علم النحو والبديع والتصريف والعروض، وله مشاركة في علوم كثيرة».

وقال أيضاً[6] : «الفقيه الأديب المحدث»، وقال[7] : «تفقه ببلاده، وبرع في فقه المالكية وغيره».

قلت: ومن وقف على كتابيه: «شرح الدرة الألفية»، و«طراز الحلة وشفاء الغلة»، علم مكانة الرجل في اللغة والأدب.

---

(١) فيما نقله عنه ابن قاضي شهبة في «الإعلام بتاريخ أهل الإسلام»(١/ ٢٤٨) .

(٢) «الدرر الكامنة»(١/ ٣٦١) ، وانظر «بغية الوعاة»(١/ ٤٠٣) ، و«مفتاح السعادة»(١/ ١٨١) .

(٣) «إنباء الغمر»(١/ ١٦٠) .

(٤) نقله عنه ابن حجر في «الدرر الكامنة»(١/ ٣٦٢) .

(٥) «النجوم الزاهرة»(١١/ ١٨٩) .

(٦) «الدليل الشافي»(١/ ٩٨) .

(٧) «المنهل الصافي»(١/ ٢٧٠) .

وقد نوه صلاح الدين الصفدي بفضله في إجازته التي كتبها جواباً على استجازة الرعيني له فقال:

يا فاضلاً في النهى والعلم منماه ... وللهدى ومحل الفضل مرماه
شنفت سمعي بأبيات إذا تليت ... في مجلس الفضل راق الطرف مغناه

ثم قال:

لكن أطعت امتثالاً ما أمرت به ... وقد أجزتك مالي فارض لقياه

شيوخه:

خلال هذه الرحلة الطويلة لأبي جعفر برفقة صاحبه ابن جابر الهواري، وتطوافه في البلدان مشرقها ومغربها، التقى الرعيني بكثير من الشيوخ في مختلف الأقطار الإسلامية، فأخذ عنهم ما شاء من فنون العلم وصنوف المعرفة، ويصور لنا أبوجعفر هذه الرحلة الطويلة التي بدأها من غرناطة، وختمها بحلب، ماراً في أثنائها بكثير من البلاد، للإلتقاء بعلمائها والأخذ عنهم قائلاً[1]:

«وجعلت أضرب أعداد البلاد بعضاً في بعض، وأخط الأرض تارة عن طول وآونة عن عرض، وأنا في طي ذلك أستخرج الدرر من أصدافها، وأجمع الفوائد على اختلاف أصنافها، إلى أن جمعت من ذلك ما حلا منه وطاب، وذقت من حلاوة الرحلة ما يستعذب منه ويستطاب، فلم أزل أقف على تنوعات البلدان موقف الإستحقاق، وأتبين مدلول قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ [فصلت:٥٢].

ولا غرض في ذلك كله إلا مسألة أفيدها أو أستفيدها، أو كلمة أجيدها أو أستجيدها، أو عالم أعود من رؤياه ممتلىء الفؤاد، أو متعلم أظفره بالعلم المستفاد.

---

(١) «اقتطاف الأزاهر» (٣٧-٣٨).

وما برحت في طلب هذا المقصد، وتورد هذا المورود، أحل من كل مدينة محل المنتقد، وأحل بها من عقد العلم ما أبرم وعقد، إلى أن ألحقت الفرات بالنيل، وبلغت فيما بينهما غاية المستنيل، وجعلت ما بين الأندلس والشام، كمرحلة يوم من الأيام، وما حجزني عن الحجاز قطع حَزْن ولا سهل، ولا تشاغلت عن ذلك بوطن ولا أهل، إلى أن جمعت بين زيارة الحرمين، وحصلت من الرحلة على غُنْمين، ولم يرعني أن بغرناطة دياري، وبالشام مزاري».

ولقد نص أصحاب التراجم على كثير من أسماء العلماء الذين أخذ عنهم أبوجعفر الرعيني، وسوف أقوم بذكرهم مرتبين حسب وفياتهم، ومترجماً لكل منهم بترجمة موجزة محيلاً على أهم مصادر الترجمة، فأقول مستعيناً بالله:

شيوخ الرعيني الذين وقفت عليهم هم:

(أبوالحسن القيجاطي (ت ٧٣٠هـ)[1]:

علي بن عمر بن إبراهيم الكناني القيجاطي، نسبة إلى قيجاطة، من أعمال جيان، أخذ عن ابن الضائع والأبذي، وأبي جعفر الطباع، وغيرهم، قال ابن الخطيب: «أوحد زمانه علماً وخلقاً وتواضعاً وتفنناً، أصله من بسطة، ودعي إلى غرناطة سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، فقعد بالجامع الأعظم يقرئ فنوناً من العلم من قراءات وفقه وعربية وأدب» وله تأليف ونثر وشعر.

توفي سنة (٧٣٠هـ). من شيوخ الرعيني في غرناطة، ذكره الصفدي وابن الجزري.

(١) انظر ترجمته في «الإحاطة» (٤/ ١٠٤)، و«غاية النهاية» (١/ ٥٥٧)، و«بغية الوعاة» (٢/ ١٨٠).

(فاطمة اليونينية (ت ٧٣٠هـ) [١] :

فاطمة بنت علي بن أحمد اليونينية البعلية، أم الخير، بنت الحافظ شرف الدين أبي الحسين، سمعت من نصر الله بن عبدالمنعم بن حوران، وحدثت، توفيت سنة (٧٣٠هـ)، ذكر ابن الجزري [٢] أن الرعيني توجه إلى بعلبك، وسمع الشاطبية من فاطمة اليونينية بإجازتها من الكمال الضرير.

(ابن هانئ الأندلسي (ت ٧٣٣هـ) [٣] :

محمّد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي، أصله من إشبيلية، عالم بالنحو والقراءات وفنون من العلم، قرأ على الغافقي وأبي بكر بن عبيدة وغيرهما، له شرح على التسهيل، وإنشاد الضوال في لحن العامة، توفي سنة (٧٣٣هـ). ذكره الرعيني في طراز الحلة [٤].

(ابن منظور القيسي (ت ٧٣٥هـ) [٥] :

محمّد بن عبيد الله بن محمّد بن يوسف، أبوبكر بن منظور القيسي المالقي، من بيت علم وفضل، ولي بمالقة القضاء، من تصانيفه: «السحب الواكفة» و«الصيب الهتان» وغيرهما، توفي سنة (٧٣٥هـ) ذكره الرعيني نفسه في كتابه «رفع الحجاب عن تنبيه

---

(١) لها أخبار في «الدرر الكامنة» (٣/ ٣٠٧)، وقد نص ابن الجزري على سماع الرعيني للشاطبية من فاطمة بنت اليونيني بإجازتها من الكمال الضرير، وهنا إشكال هو أن الرعيني خرج من الأندلس سنة (٧٣٨هـ)، وفاطمة اليونينية توفيت سنة (٧٣٠هـ) أي: قبل خروج الرعيني من الأندلس، فكيف سمع منها؟ أقول: لعل ثمة تحريفاً في أحد التاريخين السابقين، أو في أصل هذا الخبر، والله أعلم.

(٢) «غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ١٥١).

(٣) ترجمته في: «الإحاطة» (٣/ ١٤٣)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ٢١٠)، و«غاية النهاية» (٢/ ٢١١).

(٤) «طراز الحلة» (٢٩١).

(٥) انظر ترجمته في «الإحاطة» (٢/ ١٧٠)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ١٥٦).

الكتاب»[1]، وهو من شيوخه في مالقة.

(المطري (ت ٧٤١هـ)[2] :

محمّد بن أحمد بن خلف بن عيسى الخزرجي الأنصاري السعدي، أبوعبدالله جمال المطري، نسبة إلى المطرية بمصر، كان إماماً عالماً مشاركاً في العلوم، وكان مؤذناً بالمسجد النبوي، حسن الصوت، توفي سنة (٧٤١هـ). ذكره الرعيني نفسه في كتابه «طراز الحلة»[3]، وهو من شيوخه في المدينة النبوية.

(أبوعبدالله بن بكر (ت ٧٤١هـ)[4] :

محمّد بن يحيى بن محمّد بن يحيى بن أحمد بن محمّد بن بكر بن سعد الأشعري المالقي، أخذ عن أبي جعفر بن الزبير وغيره، كان من صدور العلماء، ولي القضاء بغرناطة، توفي سنة (٧٤١هـ). ذكره الصفدي، وهو من شيوخ الرعيني في غرناطة.

(أبوالحجاج المزي (ت ٧٤٢هـ)[5] :

يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف، الكلبي القضاعي الدمشقي المزي، محدث الإسلام، جمع له الدارية والرواية وعلو الإسناد، من تصانيفه: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. قال ابن طولون: «ومن المعلوم أن المحدثين بعده عيال على هذين الكتابين».

توفي سنة (٧٤٢هـ). من شيوخ الرعيني في دمشق، ذكره ابن الجزري وابن حجر.

---

(١) «رفع الحجاب» (٢١٩).

(٢) ترجمته في: «الوفيات للسلامي» (١/ ٣٥٨)، و«التحفة اللطيفة» (٣/ ٤٦٦)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ٤٠٣).

(٣) «طراز الحلة» (٣٠٩).

(٤) أنظر ترجمته في: «الإحاطة» (٢/ ١٧٦)، و«الدرر الكامنة» (٥/ ٥٥)، و«شذرات الذهب» (٨/ ٢٣١).

(٥) أنظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٤٩٨)، و«فوات الوفيات» (٤/ ٣٥٣)، «طبقات الشافعية الكبرى» (١٠/ ٣٩٥).

(ابن عبدالدائم (ت ٧٤٣هـ)[١] :

شمس الدين أبوعبدالله محمّد بن أبي بكر بن أحمد بن عبدالدائم المقدسي الصالحي، شيخ محدث مكثر، سمع من جده ومن عمر بن محمّد الكرماني وغيرهما، توفي سنة (٧٤٣هـ). ذكره ابن قاضي شهبة وابن حجر، وهو من شيوخ الرعيني في دمشق.

(الجزري (ت ٧٤٣هـ)[٢] :

أبوالعباس أحمد بن علي بن الحسن بن داود الجزري الصالحي الحنبلي، مقرئ صالح عابد، قال السبكي: لم أرَ أجلد منه على العبادة والصلاة، أقرأ بحماة، ثم انتقل إلى دمشق، توفي سنة (٧٤٣هـ)، ذكره المقريزي وابن حجر وابن تغري بردي والسيوطي.

(ابن كاميار (ت ٧٤٣هـ)[٣] :

زين الدين محمّد بن عبدالرحيم بن إبراهيم بن كاميار بن أبي نصر القزويني ثم الدمشقي، أبومحمد، شيخ صالح خير، من طلبة دار الحديث الأشرفية، أجاز له خلق، وحدث مرات، توفي سنة (٧٤٣هـ). من شيوخه في دمشق، ذكره السيوطي.

(ابن عبدالهادي (٧٤٤هـ)[٤] :

شمس الدين أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن عبدالهادي، أحد الأذكياء، تفقه في مذهب الإمام أحمد، قال الذهبي: الفقيه البارع المقرئ المجود النحوي المحدث الحافظ الحاذق ذو الفنون، تفقه بابن مسلم، وتردد على شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي سنة (٧٤٤هـ).

---

(١) ترجمته في: «الوفيات» (١/ ٤٣١)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ٢٠).

(٢) ترجمته في: «الوفيات» (١/ ٤٣٢)، و«الدرر الكامنة» (١/ ٢٢٠).

(٣) أخباره في: «الوفيات» (١/ ٤٩٥)، و«الدرر الكامنة» (٢/ ٤٤٤).

(٤) أخباره في: «الوافي بالوفيات» (٢/ ١٦١)، و«المقصد الأرشد» (٢/ ٣٦٠)، و«بغية الوعاة» (١/ ٢٩).

من شيوخه في دمشق، ذكره ابن خطيب الناصرية، وابن قاضي شهبة، وابن حجر.

(فخر الدين الملقن (ت ٧٤٥هـ)[١] :

عثمان بن سالم بن خلف، أبوعمر المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، كان شيخاً مهيباً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أخذ عنه الذهبي والبرزالي وغيرهما، توفي سنة (٧٤٥هـ). من شيوخه في دمشق، ذكره ابن خطيب الناصرية.

(التكريتي (ت ٧٤٥هـ)[٢] :

زين الدين عبدالرحمن بن علي بن حسين بن مناع التكريتي ثم الدمشقي، حدث فترة، وكان تاجراً حسن الشكل، مهيباً، منور الشيبة، كريم الأخلاق، محتشماً، توفي سنة (٧٤٥هـ) من شيوخه بدمشق، ذكره ابن خطيب الناصرية.

(أثير الدين أبوحيان (ت ٧٤٥هـ)[٣] :

محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف، أثير الدين أبوحيان الأندلسي النفزي، ولد بنواحي غرناطة، وهاجر إلى المشرق، واستقر بالقاهرة، نحوي عصره، إمام علامة مفسر، تواليفه سارت في الآفاق، من أشهرها: «البحر المحيط في التفسير»، و«التذييل والتكميل»، و«ارتشاف الضرب في النحو»، و«غاية الأريب بما في القرآن من الغريب»، و«عقد اللآلي في القراءات»، و«نحاة الأندلس» وغيرها.

توفي سنة (٧٤٥هـ). ذكره أغلب من ترجم للرعيني، وهو من شيوخه في القاهرة.

---

(١) أخباره في: «معجم شيوخ الذهبي» (١/ ٤٣٤)، و«الوفيات» (١/ ٤٩٦)، والدرر الكامنة (٣/ ٥٣).

(٢) أخباره في: «الوفيات» (١/ ٤٩٥)، و«الدرر الكامنة» (٢/ ٤٤٤).

(٣) انظر ترجمته في: «الوافي بالوفيات» (٥/ ٢٦٧)، و«الدرر الكامنة» (٥/ ٧٠)، و«طبقات المفسرين للداودي» (٢/ ٢٨٦).

(ابن شبرين (ت ٧٤٧هـ)[١] :

محمّد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن عبدالرحمن بن علي بن شبرين، أبوبكر الجذامي، قال ابن الخطيب: الشيخ الفقيه القاضي المؤرخ الكاتب. ولد بسبتة وانتقل إلى غرناطة، ولي القضاء بعدة جهات، أخذ عن أبي بكر بن عبيدة، والغافقي وغيرهما، توفي سنة (٧٤٧هـ). من شيوخ الرعيني في غرناطة، ذكره في طراز الحلة[٢] «قال: أنشدنا القاضي الإمام العلامة أبوبكر بن شبرين، لنفسه، بجامع غرناطة».

(خطيب الصالحية (٧٤٨هـ)[٣] :

محمّد بن إبراهيم بن عبدالله بن أبي عمر، عز الدين الصالحي الحنبلي، إمام فقيه خير صالح، مهر بالفقه، ودرس، كان طلق الوجه، حسن البشر، مهيباً أماراً بالمعروف، توفي سنة (٧٤٨هـ). من شيوخه بدمشق، ذكره ابن خطيب الناصرية.

(السلاوي (ت ٧٤٩هـ)[٤] :

محمّد بن عمر بن أبي القاسم بن عمر، أبومحمد السلاوي ثم الدمشقي، سمع من ابن عبدالدائم وابن أبي اليسر وغيرهما، وحدث، توفي سنة (٧٤٩هـ). من شيوخه بدمشق، ذكره ابن خطيب الناصرية.

(ابن المرابط (ت ٧٥٢هـ)[٥] :

الحافظ أبوعمرو محمّد بن عثمان بن يحيى بن أحمد المرادي الغرناطي، سكن دمشق،

---

(١) أخباره في: «الإحاطة» (٢/ ٢٣٩)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ٤٣٩)، و«نفح الطيب» (٥/ ٥٤١).

(٢) «طراز الحلة» (٢٨٢).

(٣) أخباره في «معجم شيوخ الذهبي» (٢/ ١٣١)، و«الوفيات» (٢/ ٥٢)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ٣٧)، و«القلائد الجوهرية» (١/ ١٣٦).

(٤) انظر: «الوفيات» (٢/ ١١٥)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ٢٤٢).

(٥) انظر: «الوفيات» (٢/ ١٤٢)، و«طبقات الحفاظ» (٥٢٧).

وسمع منه المزي وغيره، توفي سنة (٧٥٢هـ). سمع منه الرعيني بدمشق، ذكره الروداني[١].

(أبوعبدالله البياني (ت ٧٥٣هـ)[٢]:

محمّد بن إبراهيم بن محمّد السياري الغرناطي، المعروف بالبياني، قرأ على أبي جعفر بن الزبير، وابن رشيد، وابن الزيات وغيرهم، كان مشاركاً في العربية والفرائض والأصول، توفي سنة (٧٥٣هـ). ذكره الصفدي.

(ابن الفخار الخولاني (ت ٧٥٤هـ)[٣]:

محمّد بن علي بن أحمد الفخار، الخولاني البيري، إمام في العربية، وله مشاركة في القراءات والفقه والعروض والتفسير، قرأ على الغافقي وابن حريث وابن الشاط وغيرهم، من آثاره شرح على الجمل، وشرح على الدرة الألفية، توفي سنة (٧٥٤هـ). نص عليه الرعيني[٤] في هذا السفر من الشرح، ووصفه بقوله: «شيخنا الأستاذ العلامة بقية النحاة».

(أبوإسحاق الحلبي (ت ٧٦٠هـ)[٥]:

جمال الدين إبراهيم بن القاضي شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد، سمع من والده والصواف والدمياطي، حدث بالقاهرة، ثم بحلب، وفيها سمع منه الحافظ العراقي، والهيتمي، والرعيني، توفي سنة (٧٦٠هـ). نص عليه الرعيني نفسه في غير

---

(١) «صلة الخلف بموصول السلف»: (٦٥).

(٢) انظر ترجمته في: «الديباج المذهب» (٢/ ٢٧٦)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ٣٨٢)، و«درة الحجال» (٢/ ٤٩).

(٣) انظر ترجمته في: «غاية النهاية» (٢/ ٢٠٠)، و«الدرر الكامنة» (٤/ ١٧٢)، و«بغية الوعاة» (١/ ١٧٤).

(٤) انظر صفحة: (٤٤٢) من هذا السفر.

(٥) ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٧)، و«والوافي بالوفيات» (٦/ ١٤٣)، «الدرر الكامنة» (١/ ٧٣).

موضع من طراز الحلة[1] بقوله: أنشدنا شيخنا الإمام العلامة.

(ابن فرحون (ت ٧٩٩هـ)[2] :

أبو الوفاء إبراهيم بن علي بن محمّد بن أبي القاسم بن محمّد بن فرحون اليعمري المدني، برهان الدين، نشأ بالمدينة وبها سمع من المطيري والوادي آشي ورحل إلى مصر والقدس ودمشق، من تصانيفه: «الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب»، و«التبصرة في أدب القضاء»، وغيرها، توفي سنة (٧٩٩هـ)، ذكره السخاوي.

تلاميذه:

استقر أبوجعفر مع رفيقه ابن جابر في حلب، واستفاد منهما خلق كثير، وكان لهما مسجد، يعرف بمسجد النحاة كما أسلفنا سابقاً، قال ابن خطيب الناصرية: وقد انتفع الحلبيون به وبرفيقه، وأخذ عنهما علم النحو والأدب جماعة كثيرة.

وقد نصت كتب التراجم على تلاميذ أبي جعفر، وسأوردهم مرتبين حسب وفياتهم على النحو التالي:

(أبوالربيع المصري (ت ٧٧٨هـ)[3] :

سليمان بن داود بن يعقوب بن أبي سعيد، القاضي جمال الدين أبوالربيع، كاتب أديب، برع في صناعة الإنشاء والترسل، توفي سنة (٧٧٨هـ). وهو الذي قرأ هذا السفر على الرعيني نفسه فأجازه، جاء في خاتمته[4]:

«قرأت هذا الجزء بحمد الله ومنه، وهو الجزء السابع من شرح ألفية ابن معط، على

---

(١) انظر مثلاً صفحة: (١٦٠، ٣٤٦، ٣٥١).

(٢) أخباره في: «الدرر الكامنة» (١/ ٤٩)، و«التحفة اللطيفة» (٣/ ٤٨٢)، و«درة الحجال» (١/ ١٨٢).

(٣) أخباره في: «الدرر الكامنة» (٢/ ٢٤٦)، و«إنباء الغمر» (١/ ٢٠٩)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ٦٦).

(٤) انظر صفحة: (٧٢٩) من النص المحقق.

مؤلفه سيدنا وشيخنا الإمام العلامة الأستاذ شهاب الدين أبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك المالكي، مد الله مدة عمره، في مجالس آخرها في يوم السبت الموفي عشرين من شهر الله رجب المحرم سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة، وأجاز لي روايته ورواية ما له من منقول ومعقول بشرطه المضبوط وضبطه المشروط. قال ذلك وكتبه: سليمان بن داود المصري، حامداً لله تعالى ومصلياً على نبيه محمّد وآله وصحبه ومسلماً».

(ابن المهاجر (ت ٧٧٨هـ)[١] :

عمر بن أحمد بن عبدالله بن المهاجر، زين الدين الحلبي الشافعي، كتب الإنشاء بحلب، وله نظم حسن. توفي سنة (٧٧٨هـ). ذكره ابن حجر.

(أبوالمعالي بن أبي العشائر (ت ٧٨٩هـ)[٢] :

محمّد بن علي بن محمّد بن أبي العشائر السلمي الحلبي، خطيب فاضل له مشاركة في العلوم، توفي سنة (٧٨٩هـ). ذكره ابن خطيب الناصرية وابن حجر.

(علاء الدين البيري (ت ٧٩٤هـ)[٣] :

علي بن عبدالله بن يوسف البيري الحلبي، ماهر في النظم والنثر والإنشاء، توفي سنة (٧٩٤هـ). ذكره ابن حجر.

(الكركي (ت ٧٩٧)[٤] :

عمر بن محمود بن محمّد، أبوحفص الكركي الشافعي، كان يفتي ويدرس، توفي سنة (٧٩٧هـ). ذكره ابن خطيب الناصرية.

---

(١) أخباره في: « الدرر الكامنة» (٣/ ٢٢٧)، و«الدليل الشافي» (١/ ٤٩٤)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ٦٧).
(٢) أخباره في: «الدرر الكامنة» (٤/ ٢٠٤)، و«إنباء الغمر» (٢/ ٢٧٣)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ٩٧).
(٣) أخباره في: «الدليل الشافي» (١/ ٤٥٩)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ١٤٧)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ١١٢).
(٤) أخباره في: «الدر المنتخب» (٢/ ١٣٥)، و«الدرر الكامنة» (٣/ ٢٦٩)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ١١٥).

(خطيب سرمين (ت ٨٠١هـ)[١] :

محمّد بن أحمد بن عمر العجلوني الحلبي، يعرف بخطيب سرمين، كان ديناً واعظاً، توفي بمكة سنة (٨٠١هـ). ذكره ابن حجر.

(أبو البركات الأنصاري (ت ٨٠٣هـ)[٢] :

موسى بن محمّد بن محمّد بن جمعة، قاضي القضاة شرف الدين الأنصاري الحلبي الشافعي، أفتى ودرس بحلب، توفي سنة (٨٠٣هـ)، ذكره ابن خطيب الناصرية.

(الداديخي (ت ٨٠٣هـ)[٣] :

أبوبكر بن سليمان بن صالح، الشرف الداديخي، برع في الفقه والأصول، ودرس وخطب بحلب، توفي سنة (٨٠٣هـ). ذكره ابن خطيب الناصرية.

(ابن حبيب (ت ٨٠٨هـ)[٤] :

طاهر بن الحسن بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب، زين الدين الحلبي الحنفي، اشتغل وحصل ولازم الرعيني، توفي سنة (٨٠٨هـ) ذكره ابن قاضي شهبة.

(جمال الدين الحلبي المعروف بـ (استدار بجاس) (ت ٨١٣هـ)[٥] :

الأمير جمال الدين يوسف بن أحمد البيري الحلبي، قدم مصر وخدم الإستدار بجاساً، فعرف به، واستقر بالإستدارية[٦]، توفي سنة (٨١٣هـ). ذكره ابن حجر.

---

(١) أخباره في: «إنباء الغمر» (٤/ ٨٠)، و«ذيل الدرر»: (٧٦)، و«الضوء اللامع» (٧/ ٣٣).

(٢) أخباره في: «الدر المنتخب» (٢/ ٧٥٢)، و«الضوء اللامع» (١٠/ ١٨٩)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ١٢٥).

(٣) أخباره في «الدر المنتخب» (١/ ١٨٤)، و«الضوء اللامع» (١١/ ٣٤)، و« إعلام النبلاء» (٥/ ١٣٣).

(٤) أخباره في: «المنهل الصافي» (١/ ٣٦٦)، و«الضوء اللامع» (٤/ ٣)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ١٤٧).

(٥) أخباره في: «إنباء الغمر» (٦/ ١٩٨)، و«ذيل الدرر» (٢٠٥)، و«الدليل الشافي» (٢/ ٧٩٦).

(٦) الإستدارية: هي القيام بأمر بيوت السلطان من طعام وشراب وخدم وحاشية وغير ذلك، والإستدار هو القائم بهذه الوظيفة، وهي فارسية معربة. «صبح الأعشى» (١/ ٢٥، ٥/ ٤٥٧).

(الحاضري (ت ٨٢٤هـ)[١] :

محمّد بن خليل، عز الدين الحاضري الحلبي الحنفي، إمام عالم بكثير من الفنون، توفي سنة (٨٢٤هـ).

(ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)[٢] :

محمّد بن محمّد بن محمّد.. أبوالخير شمس الدين المعروف بـ(ابن الجزري)، عالم، متفنن، مؤرخ، شيخ الإقراء في زمانه، ذكر الرعيني في أثناء ترجمته له فقال: شيخنا[٣]، توفي سنة (٨٣٣هـ).

(الحصوني (ت ٨٤٠هـ)[٤] :

الحسن بن أحمد بن صدقة، البدر الشكري الحصوني الحلبي الشافعي، أخذ النحو عن الرعيني، وتوفي سنة (٨٤٠هـ).

(سبط ابن العجمي (ت ٨٤١هـ)[٥] :

إبراهيم بن محمّد بن خليل، برهان الدين الحلبي، عالم بالحديث، من كبار الشافعية، توفي سنة (٨٤١هـ). ذكره ابن خطيب الناصرية.

---

(١) أخباره في: «الدليل الشافي» (٢/ ٦١٩)، و«الضوء اللامع» (٧/ ٢٣٢)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ١٦٩).

(٢) انظر: «غاية النهاية» (٢/ ٢٤٧)، و«الدليل الشافي» (٢/ ٦٩٧)، و«الضوء اللامع» (٩/ ٢٥٥).

(٣) «غاية النهاية» (١/ ١٥١).

(٤) انظر: «الضوء اللامع» (٣/ ٩٣)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ١٩٧).

(٥) انظر: «المنهل الصافي» (١/ ١٤٧)، و«الضوء اللامع» (١/ ١٣٨)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ١٩٩).

(محمّد بن عشائر (ت ٨٥٠هـ)[١] :

محمّد بن عبدالله بن أحمد.. ابن عشائر الحلبي الشافعي، أخذ النحو عن الرعيني، توفي سنة (٨٥١هـ) .

(ابن العجمي (ت ٨٥٧هـ)[٢] :

محمّد بن أحمد بن عمر، أبوجعفر شهاب الدين الحلبي الأموي المعروف بابن العجمي، أخذ عن الرعيني وغيره، توفي سنة (٨٥٧هـ) .

وقد أجاز الرعيني لكل من أدرك حياته بقوله[٣] :

أذنت أن يرووا جميع ما به ... حدثني كل إمام سالك
يقول ذا متبعاً لشرطه ... أحمد بن يوسف بن مالك

كما أجاز لابن ظهيرة جمال الدين محمّد بن عبدالله كما ذكر السيوطي[٤] .

آثاره:

ترك لنا أبوجعفر عدداً من التواليف، وهي وإن كانت غير كثيرة في عددها، إلا أنها قيمة من حيث محتواها، ومن ثم فقد حل أبوجعفر في مكانه اللائق بين علماء العربية، وقد نص كثير ممن ترجم للرعيني على هذه التواليف، وسوف أسوقها معرفاً بها باختصار، ومرتباً إياها على حسب حروف المعجم:

---

(١) أخباره في «الضوء اللامع»(٨/ ٨١) ، و«إعلام النبلاء»(٥/ ٢٣٣) .

(٢) أخباره في «الضوء اللامع»(٧/ ٣٠) ، و«إعلام النبلاء»(٥/ ٢٥٢) ، وقد نص السخاوي على أن ابن العجمي أخذ عن أبي جعفر الرعيني، ولعل وهما ما حاصل في هذا الأمر؛ لأن ولادة ابن العجمي كانت سنة(٧٧٥هـ) ، ووفاة الرعيني كانت سنة(٧٧٩هـ) ، فكيف حصلت له التلمذة عليه؟!

(٣) «طراز الحلة»(٦٣٨) ، و«بغية الوعاة»(١/ ٣٥) ، و«مفتاح السعادة»(١/ ١٨١) .

(٤) «بغية الوعاة»(١/ ٤٠٣) .

١- اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر[١]:

وهو كتاب تصريفي، ذكر فيه الرعيني ما جاء على (فعل) بفتح العين، والمضارع منه بالضم والكسر، مع اختلاف المعنى واتفاقه، وقدم له بمقدمة ذكر فيها أقسام (فعل) من صحيح، ومعتل الفاء، ومعتل العين أو اللام، ومضاعف، والأوزان التي يجيء عليها مضارع كل قسم.

٢- تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من القرآن[٢]:

وهو كتاب عرض الرعيني فيه إلى الكلمات القرآنية المقروءة بالأوجه الثلاثة، وقد فرغ من تأليفه سنة (٧٤٥هـ)، وأحال عليه في كتبه الأخرى.

٣- رد الشوارد إلى حكم القواعد:

وهو من الكتب المفقودة، لأبي جعفر، وقد أحال عليه في كتبه الأخرى[٣]، ويظهر أنه يهدف إلى حصر التراكيب الشاذة عن قواعدها.

٤- رسالة في السيرة والمولد:

ذكرها الأستاذ خير الدين الزركلي[٤] رحمه الله، وقال: إنها مخطوطة بدار الكتب المصرية.

---

(١) والكتاب محقق حيث أخذت فيه رسالة ماجستير بجامعة أم القرى عام (١٤٠١هـ-١٩٨٢م).

(٢) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور علي حسين البواب بدار المنارة بجدة عام (١٤٠٧هـ).

(٣) انظر: «اقتطاف الأزاهر» (٥٠).

(٤) انظر: «الأعلام» (١/ ٢٧٤).

٥- رفع الحجاب عن تنبيه الكتاب[١]:

وهو شرح على قصيدة رفيقه ابن جابر الهواري في الظاءات، والتي مطلعها:

حمد الإله أجل ما يتكلم ... بدءاً به فله الثناء الأدوم

وقد بين الرعيني في مقدمته أنه ألفه بناء على رغبة بعض طلبة العلم، فنظم صاحبه القصيدة، وقام هو بشرحها.

٦- طراز الحلة وشفاء الغلة[٢]:

ذكره له أغلب المترجمين، وهو كتاب في البلاغة، شرح فيه الرعيني قصيدة صاحبه ابن جابر البديعية، وهي بديعية نادرة في فنها، فريدة في حسنها، نظمها في مدح المصطفى ، وضمن كل بيت منها نوعاً من أنواع البديع، وأول هذه القصيدة:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم ... وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم
وابذل دموعك واعذل كل مصطبر ... والحق بمن سار والحظ ما على العلم
سنا نبي أبى أن يضيعنا ... سليل مجد سليم العرض محترم
جميل خلق على حق جزيل ندى ... هدى وفاض ندى كفيه كالديم
كف العداة وكد الحادثات كفى ... فكم جرى من جدى كفيه من نعم
وكم حبا وعلى المستضعفين حنا ... وكم صفا وضفا جوداً لجبرهم
ما فاه في فضحه من فاء ليس سوى ... عذل بعدل ونصح غير متهم
حان على كل جان حاب إن قصدوا ... حام شفا من شقا جهل ومن عدم

---

(١) الكتاب محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس برقم: (٤٤٥٢)، ومنه مصورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى برقم: (٣٣) مجاميع.

(٢) الكتاب مطبوع بتحقيق الدكتورة رجاء السيد الجوهري، إلا أن هذه الطبعة لم تكن على المستوى الذي يليق بالكتاب وصاحبه، حيث جاء الكتاب مليئاً بالأخطاء والتصحيفات، خالياً من أي فهرس، ولعل الدكتورة الفاضلة تستدرك ما فاتها في طبعة ثانية إن شاء الله تعالى.

ليث الشرى إذ سرى مولاه صار له ... جاراً فجاز ونيلاً منه لم يرم
كافي الأرامل والأيتام كافلهم ... وافي الندى لموافي ذلك الحرم
أجار من كل من قد جار حين أتى ... حتى أتاح لنا عزا فلم نضم
وعام بدر أعام الخيل في دمهم ... حتى أبات أبا جهل على ندم

٧- شرح الدرة الألفية:

وهذا الكتاب هو أضخم كتب الرعيني، وهو شرح موسع على ألفية ابن معط، مدحه كثير من مترجميه، مال فيه إلى البسط والتطويل والإسهاب في الشرح والتحليل، وقد حفل بقدر كبير من آراء العلماء، وظهرت شخصية الرعيني النحوية واضحة فيه من خلال مناقشاته وردوده وتعليقاته، فكان دليل حق وشاهد صدق على مدى عمق ثقافة أبي جعفر، وغزارة علمه، وسعة اطلاعه، وتبحره في فنه. وسأفرد له مبحثاً خاصاً أبين فيه أقوال العلماء وثناءهم عليه، ومظاهر نحويته فيه، وأثر هذا الشرح في المؤلفات من بعده.

٨- وللرعيني وابن جابر كتاب ذكرا فيه من اجتمعا به في رحلتهما، ذكره لهما بعض المترجمين[١].

كما تجدر الإشارة إلى أن لأبي جعفر شعراً جيداً مبثوثاً في أثناء تراجمه، وقد أورد المقري في نفح الطيب[٢] كثيراً منه، وكذلك الطباخ الحلبي في إعلام النبلاء[٣]، كما نص الرعيني نفسه في كتابه «طراز الحلة وشفاء الغلة» على كثير منه.

---

(١) انظر: «التحفة اللطيفة» (٣/ ٤٨٣)، و«كنوز الذهب» (١٧٢)، و«إعلام النبلاء» (٥/ ٨٠).
(٢) انظر: «نفح الطيب» (٢/ ٦٧٥-٦٩٠، ٧/ ٣٧١-٣٧٧).
(٣) انظر: «إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٥/ ٧٣-٧٨).

شرحه على الدرة الألفية:

الدرة الألفية، تلك المنظومة النحوية التي سبقت ألفية ابن مالك، وإياها عنى بقوله:

وتقتضي رضى بغير سخط ... فائقة ألفية ابن معطي
وهو بسبق حائز تفضيلا ... مستوجب ثنائي الجميلا
والله يقضي بهبات وافرة ... لي وله في درجات الآخرة

وناظمها هو الإمام أبوزكريا يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المتوفى سنة (٦٢٨هـ)، ذلك العالم الذي كان بالمغرب طلوعه، وبالمشرق غروبه، وفيه ظهر بديع علمه وغريبه، لم يزل شامة في وجنة الشام، وعلماً بين أئمتها الأعلام.

وألفيته هذه قال عنها الإمام الرعيني: «وقد كثرت عناية السالكين بذلك، فوجدت عنايتهم بها عناية حق، وألفيت الألفية المذكورة قد أحرزت في الإحسان كل سبق، أحسن المنظومات مساقاً، وأحلاها مذاقاً، وأوقعها في القلوب، وأوفاها بالمطلوب، وهي كما قيل فيها: ككلمة التوحيد خفيفة على اللسان، ثقيلة في الميزان».

ولقد نالت هذه الدرة الألفية عناية العلماء واهتمامهم، فكان أول من شق الصدف عن درتها، وبرقت له أسارير مسرتها، الإمام العلامة شمس الدين أبوالعباس أحمد بن الحسين بن الخباز الموصلي المتوفى سنة (٦٣٩هـ)، ثم توالى الشراح عليها فشرحها ابن هشام الخضراوي المتوفى سنة (٦٤٦هـ)، ثم أحمد بن المبارك الخرفي المتوفى سنة (٦٦٤هـ)، ثم عز الدين سعفص المراغي المتوفى سنة (٦٦٦هـ)، ثم أبوالحسين جمال الدين بن إياز البغدادي المتوفى سنة (٦٨١هـ)، ثم جمال الدين محمّد بن أحمد الشريشي المتوفى سنة (٦٨٥هـ)، ثم عبدالعزيز بن جمعة بن القواس الموصلي المتوفى سنة (٦٩٦هـ)، ثم تقي الدين النيلي من علماء القرن السابع، ثم شرف الدين الشارمساحي من علماء القرن السابع أيضاً، ثم بدر الدين محمّد بن يعقوب بن النحوية المتوفى سنة (٧١٨هـ)، ثم شهاب الدين أحمد بن محمّد بن يعقوب بن النحوية

المتوفى سنة (٧١٨هـ)، ثم شهاب الدين أحمد بن محمّد بن جبارة المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (٧٢٨هـ)، ثم عبدالمطلب بن مرتضى الحسيني الجزري المعروف بابن بابشاه المتوفى سنة (٧٤٩هـ)، ثم أبوعبدالله محمّد بن علي بن الفخار المتوفى سنة (٧٥٤هـ)، ثم جاء الإمام العلامة أبوجعفر أحمد بن يوسف الرعيني الغرناطي المتوفى سنة (٧٧٩هـ) فوضع عليها شرحاً في أحد عشر مجلداً، جمع فيه ما تفرق من الفوائد، وحوى ما تناثر من أقوال العلماء ومسائل الخلاف، فكان بحق أعظم تلك الشروح، وأوفاها بالمطلوب.

ثم شرحها رفيقه أبوعبدالله محمّد بن علي بن جابر الهواري الأندلسي المتوفى سنة (٧٨٠هـ)، ومن بعده أكمل الدين محمّد بن محمّد البابرتي المتوفى سنة (٧٨٦هـ)، ثم جمال الدين يوسف بن الحسن ابن خطيب المنصورية المتوفى سنة (٨٠٩هـ)، ثم زين الدين شعبان بن محمّد الآثاري المصري المتوفى سنة (٨٢٨هـ)، ثم عبدالله الشيراشي (ولم أقف له على ترجمة).

وهناك بعض الشروح مجهولة المؤلف في خزائن المخطوطات[1].

أما شرح أبي جعفر الرعيني فهو من أضخم تلك الشروح، وقد وقفنا بحمد الله على عدد من أسفاره وهي: (السفر الأول والثاني والثالث والسابع)، وحققت جميعها رسائل علمية بجامعة أم القرى بمكة حرسها الله.

جاء هذا الشرح حافلاً بآراء العلماء وأقوالهم، وكان للرعيني معهم مناقشات ومساجلات، وبخاصة شيخه أبي حيان في مواقفه من ابن مالك رحمهم الله جميعاً، فكان في كل ذلك نزيهاً، يقول الحق دون محاباة أو مجاملة.

وقد أوضح أبوجعفر -رحمه الله- داعيه إلى تأليف هذا الكتاب في مقدمة المجلد الأول، فذكر أنه كان بناء على طلب بعض المشتغلين في العلم، ورغبة منه في أن

(١) انظر: «دليل المخطوطات» (١/ ١١٢)، و«فهارس يكي جامع» (٩٨).

يسلك في عداد الشارحين لهذه الدرة الألفية، لما لها من الأهمية، حيث إنها أحسن المنظومات مساقاً، وأحلاها مذاقاً، وأوقعها في القلوب، وأوفاها بالمطلوب، فأجابهم إلى ذلك، إلا أنه لم يوضح منهجه الذي سار عليه في كتابه، ولم يبن عن طريقته في تعامله مع مسائله وأبوابه، لكن الناظر فيه سرعان ما يقف لأول وهلة على طريقة المصنف في شرحه، ألا وهي بسط الكلام مطولاً على مباحثه ومسائله، واستيفاء الحديث عنها، والإسهاب في التحليل والشرح والتعليل، ففصل الحديث فيه أحسن التفصيل، وسهل عبارته أبلغ التسهيل، ولم يقنع له من المسائل بالقليل، فجاء الكتاب طويل الباع يروي الصديان إليه، ويهدي السالك فيه.

قال عنه ابن قاضي شهبة[1]: «وعمل شرحاً مطولاً على ألفية الإمام يحيى، أتى بما فيه النفوس تحيا».

وجاء في حاشية إحدى نسخ الدرر الكامنة[2]: «وشرح ألفية ابن معطي شرحاً عظيماً حافلاً في أحد عشر مجلداً بخطه... أبان في هذا الشرح عن علم جم، واطلاع كثير، ونظر دقيق».

موقفه من العلماء:

لقد حفل هذا الشرح بقدر كبير من آراء العلماء، وكان ذلك نتيجة منطقية للمنهج الذي اتبعه ابوجعفر، وهو البسط والتطويل، والإسهاب في الشرح والتحليل -كما أسلفناه-، ومن ثم تواردت آراء العلماء على مباحث هذا الكتاب، فكانت نجوماً ساطعة، ولآلىء مضيئة، وكانت شاهد صدق على مدى عمق ثقافة أبي جعفر، وغزارة علمه، وسعة اطلاعه، وتبحره في فنه، وقد تبين لي خلال معايشتي لهذا الشرح أن الرعيني كان يجل العلماء إجلالاً كبيراً، ويحترمهم احتراماً شديداً، وإن من كريم

(١) «الإعلام بتاريخ الإسلام» (١/ ٢٤٨).
(٢) «الدرر الكامنة» (١/ ٣٦١) حاشية (٣).

الأخلاق التي ترفع الدرجة وتعلي المنزلة، التأدب مع العلماء والأشياخ، فلا ينعتون إلا بجميل الألفاظ، وإن سها أحدهم في مسألة من مسائل العلم، أظهر خطؤه بلطيف العبارة، وجميل المأخذ.

وهكذا كان أبوجعفر، في مواقفه مع العلماء الأجلاء، وسوف يتضح لنا ذلك جلياً من خلال ما سنورده من أقواله وتعقيباته، واستدراكاته وتعليقاته على ما يورده من الآراء.

ولقد ظهرت شخصية الرعيني النحوية واضحة في أثناء سرد مباحث هذا الكتاب، وترصيعه بآراء العلماء، التي كان يقف منها موقفاً واضحاً في غالب الأحيان، فكان يؤيد مرة، ويصحح أخرى، وكان لا يتردد بتضعيف رأي بدا له ضعفه، أو توهينه وإخراجه عن جادة الصواب ما اتضحت له الأدلة على ذلك، دونما تعصب لمذهب من المذاهب، أو انحياز لرأي عالم من العلماء وإن كان من شيوخه، ويتضح لنا ذلك من خلال نزاهته في الحكم على ما جرى بين بعض العلماء، وسوف نبسط الحديث عنه إن شاء الله في أثناء حديثنا عن الجوانب التفصيلية الآتي ذكرها.

ولقد رأيت أن أقسم الحديث عن موقف الرعيني من العلماء في هذا المبحث إلى عدة نقاط، أحصر الحديث فيها، وهي على النحو التالي:

١- موقفه من الناظم.

٢- موقفه من شيخه أبي حيان.

٣- موقفه من شراح الألفية.

٤- موقفه من سائر العلماء.

أولاً: موقف الرعيني من الناظم:

إن الأعمال البشرية سوف تبقى قاصرة عن بلوغ درجة الكمال التي ينشدها كل إنسان، وإن في ذلك لأدل دليل على قصور الإدراك البشري لهذه الغاية النبيلة، التي

تفردت بها ذات الإله العلية، ومن ثم فإن أي عمل بشري سوف يبقى قابلاً للأخذ والرد، وهو أمر مقبول ما لم يخرج عن دائرة التجرد والموضوعية، وقد كانت للمصنف مع الناظم عدة مواقف، أجملها فيما يلي:

١- المناصرة والمعاضدة.

٢- مآخذ واقتراحات.

٣- إعادة الترتيب.

وسوف أتناول كل نقطة منها بالإيضاح والتمثيل فأقول:

المناصرة والمعاضدة:

لم يأل الرعيني جهداً في الدفاع عن الناظم ما وجد إلى ذلك سبيلاً، فنراه يخرج ما أشكل من ألفاظ الألفية، فيحمله على وجه من الوجوه المقبولة، أو نراه يتأوله بما لا يذهب به بعيداً عن مرمى الألفاظ التي وضعها ابن معط رحمه الله، وفي أثناء هذه الأحاديث التي يسردها في هذه المقامات تظهر شخصية الرعيني واضحة فيما يبديه من آراء، وما يظهره من تعقيبات، وهذه بعض الأمثلة:

رد الرعيني على ابن النحوية جعله «لا تظهراً» حشوا وذلك في قوله ابن معط:

وإن يكن آخره معتلاً ... بألف نحو الفتى وحبلى
سمي مقصوراً به تقدر ... الحركات كلها لا تظهر

قال أبوجعفر: «وعندي أنه ليس بحشو، بل يعطي معنى أي معنى، وذلك أن المعتل على قسمين: قسم تقدر فيه الحركة ويمكن ظهورها كالمنقوص في الحالة الرفع والجر؛ ألا ترى أنه يمكن إظهارها، ولذلك يظهرها الشاعر إذا اضطر إليها، وقسم تقدر فيه الحركة، ولا يمكن إظهارها، نحو: العصا، فقوله: «لا تظهر» يعطي أنه من القسم الذي تقدر فيه الحركة، ولا يمكن إظهارها، ولو سكت على قوله: «تقدر» لقيل: فهل يمكن إظهارها، فأتى به ليحرز هذا المعنى».

ومنه ما جاء في باب النداء عند تفسير قول الناظم:

وما لنا اسم فيه لام وألف نودي بلا أي سوى الله وصف

ما نصه: «... وقوله: «وصف» هو فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله، وهو في موضع الصفة لـ «أي»، فالضمير المرفوع فيه عائد إلى «أي»، فالتقدير: وما لنا اسم فيه لام وألف نودي بلا «أي» موصوفة سوى «الله»، ويلزم منه الفصل بقوله: «سوى الله» بين الموصوف وصفته، وحصل بسبب ذلك في البيت تعقيد لفظي. وعلى هذا خرجه ابن النحوية وابن القواس.

والذي أراه أن يكون: «وصف»؛ فعل أمر، والواو عاطفة، فتكون مفتوحة، ونتخلص من موجب الفصل، فيكون التقدير: وما لنا اسم فيه لام وألف نودي بلا أي سوى الله، ثم قال: وصف أيا إذا ناديتها».

هذا هو رأي الرعيني الذي أبداه ليبعد اعتراضاً موجهاً لبيت الناظم، ويتابع الرعيني توضيحه لما أبداه فيقول: «وقوله:

«تمثيل أي لنداء المعرفة»

البيت. لما رأي أن البيت الأول فيه حذف، وأن في معناه غموضاً، أراد أن يزيل غموضه بهذا البيت، فعرفك كيف يكون نداء ما فيه الألف واللام بهذا المثال الذي ذكره، وهو قوله: «يا أيها الإنسان» وهو إشارة إلى قوله تعالى...

ومنه أيضاً قوله في باب الندبة عند تفسير أبيات الناظم:

«قوله [أي: الناظم]: «وإن ندبت من تنادي» قيل: ظاهره أن المندوب منادى حقيقة» وصاحب هذا الاعتراض على الناظم هو ابن النحوية، ولم يرتض الرعيني هذا، بل خرج قول الناظم تخريجاً مقبولاً يخرجه من هذا الاعتراض فقال: «وليس كذلك، وإنما مراده: وإن ندبت من تذكر اسمه بلفظ النداء».

ويدخل في هذا المبحث ما نص عليه الرعيني من اختلاف في بعض روايات الألفية

يكون في بعضها سبيل للخروج من خلاف بعض العلماء في قضية معينة، مثال ذلك قول المصنف، عند تفسير بيت الناظم في ندبة المضاف:

«وفي المضاف يا عبيد اللهاه»

«هذا تمثيلٌ ثانٍ للمندوب بـ «يا» إذا كان مضافاً، فأعطى أنَّ ألف الندبة تلحق المضاف إليه بخلاف الصفة، وقد تقدَّم ما في الصفة من الخلاف، وفي هذا المثال تجويزٌ لما منعه ابن مالك من لحاق هاء الندبة لما آخره هاء قبلها ألف، وقد تقدَّم الكلام عليه. ويوجد في بعض الروايات: «يا عبد الملكاه» فنخلص من خلاف ابن مالك».

مآخذ واقتراحات:

على الرغم من الموقف الحميد الذي وقفه الرعيني في الدفاع عن الناظم، ومؤازرته والوقوف إلى جانبه ضد المعترضين الذين كانوا في غالبهم من شراح الألفية، إلا أن هذا لم يمنع الرعيني من أن يبديَ ما يعنُّ له من ملاحظات حول نص الألفية، وأن يعطي البديل الذي رآه مناسباً.

ولإيضاح هذه المسألة نورد بعض الأمثلة من كلامه:

- قال -رحمه الله- عند تفسيره قول الناظم:

«ويَعْمَلُ اسمُ الفِعلِ إنْ تَعدَّى»

قال: «يعني: ويعمل اسم الفعل النصب بدليل قوله: «إن تعدَّى» فإن التعدي لا يُشترط إلا في عمل النصب، وأما عمل الرفع فأسماه الأفعال كلها تعمله، وكان حقُّه أن يقول: وينصب.

وقوله:

«نحو: رويْدَ وهَلُمَّ سَعدَا»

أتى بمثالين من أسماء الأفعال التي تعمل النصب، تقول: رويدَ زيداً؛ أي: أمهلْه،

ولم يُصرح بالمفعول، وقد تقدمت أحكام «رُويدَ» وأقسامها، وتقول: هلُـمَّ سعداً أي: أحضِر سعداً، وينبغي أن تكون «رُويدَ» في البيت غيرَ منونة؛ لأنه أراد بها اسم الفعل، ولا تكون إلا مبنية، ولم يسمع فيها التنوين حالة كونها اسم فعل..».

-وهذا مثال ثان لاعتراض الرعيني على الناظم، وإعطائه بديلاً عما اعترض عليه، قال الرعيني:

«وقوله:

«فارفع: عليك نفسك الفلاحا»

هذا مثال لتأكيد المضمر المرفوع المستتر في الظرف، فـ«نفسك» مرفوع، وقد نص عليه بقوله: «فارفع» و«الفلاح» منصوب؛ لأنه المغرى به، وأكد المرفوع بـ«النفس» ولم يؤكده قبل ذلك بالضمير، وذلك شاذ».

إلا أن المصنف سرعان ما التمس العذر لابن معط فقال: «وحسنه الفصل بالكاف».

إعادة الترتيب:

أبدى أبوجعفر -رحمه الله- في بعض المواضع من الشرح رأيه في ترتيب بعض أبيات الألفية، فرأى تقديم بعضها أو تأخيره ليتناسق الحديث، وتأتلف المباحث، ومن أمثلة هذا الجانب قوله عند تفسير قول الناظم:

إلا عن اسم الله والإشارة فالحرف فيهما احذر اختصاره

قال: «يعني احذر اختصار حرف النداء من اسم الله ومن اسم الإشارة... وتقدير كلامه في هذين البيتين: يجوز حذف حرف النداء من كل منادى إلا من اسم الله والإشارة، ففهم منه أن ما عدا هذين النوعين يجوز حذف حرف النداء منه، لا أنه منحصر في المضاف والعلم، وكان حقه أن يستثني مع اسم الله واسم الإشارة النكرة

المقصودة؛ لأنه لا يجوز حذف حرف النداء منها على الصحيح، مع أنه قد نبه على ذلك بعد فقال:

«ولاتقل: رجل تعني: يا رجل»

ولو أحسن الترتيب لكان هذا البيت يلي قوله:

إلا عن اسم الله والإشارة

وقد شمل هذا المثال أيضاً اعتراضاً من الرعيني على الناظم، وهو ما تحدثنا عنه في النقطة السابقة.

- ومثال آخر في هذا الجانب هو قوله عند تفسير قول الناظم:

ولا تقل رجل تعني يا رجل

«هذا من تمام ما لا يجوز فيه حذف حرف النداء، وقد تقدم التنبيه عليه، وإن هذا البيت كان حقه أن يتقدم على البيتين اللذين قبله؛ ليتصل الكلام فيما لا يجوز فيه حذف حرف النداء».

ثانياً: موقفه من أبي حيان:

أبوحيان هو أثير الدين محمّد بن يوسف المتوفى سنة (٧٤٥هـ)، نحوي عصره، ولغويه، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، قال عنه الصفدي[1]: «لم أره قط إلا يسمع أو يشتغل، أو يكتب، أو ينظر في كتاب، وكان ثبتاً قيماً، عارفاً باللغة، وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيهما غيره..».

قد كان لأبي حيان أثر بارز في ثقافة الرعيني، ظهر ذلك واضحاً جلياً في أغلب

(١) عن «بغية الوعاة» (١/ ٢٨١).

مصنفاته، وإنه ليخيل لي أن الرعيني كان يحفظ مؤلفات شيخه عن ظهر قلب، فلا تراه يفارقه في مبحث من مباحثه، أو في مسألة من مسائله، فهو دائماً بجانبه، يستأنس بأقواله، ويستشهد بنقولاته وتعليلاته، لدرجة أن الرعيني اعتمد على نقول حصل فيها سهو من شيخه، فتابعه هو عليها.

ومع شدة احترام الرعيني لشيخه أبي حيان وشيوخه عامة، فإن ذلك لم يمنع من بروز شخصيته العلمية في أثناء عرضه ومناقشاته، فقد أبدى في كثير من المواضع ما له من ملاحظات على آراء شيخه أو منهجه، وناقشه فيها، ورد عليه كثيراً منها، وحكم لخصومه في كثير من المسائل التي عارضهم أو تعقبهم فيها، وسوف نوضح ذلك بالأمثلة من كلام الرعيني في الجوانب الآتي تفصيلها إن شاء الله.

هذا وقد فصلت الحديث في هذا المبحث من خلال نقطتين:

الأولى: موقفه من أبي حيان بصورة عامة.

الثانية: موقفه من أبي حيان من خلال متابعته لابن مالك.

موقفه من أبي حيان بصورة عامة:

اتضح لي من خلال الإطلاع على كلام أبي جعفر الرعيني أنه كان مع شيخه واحداً من ثلاثة:

١- إما أن ينقل عنه قولاً أو رأياً يفيد منه في موطنه فائدة تزيد البحث عمقاً وتأصيلاً، فينقله بنصه تارة، وقد يتصرف فيه شيئاً قليلاً، وهو في هذا الجانب يكون في غالب أمره مقراً ومسلماً بهذه الآراء، وقد يثني على شيخه في ذلك ويمتدحه، وقد يتبنى الرعيني بعض هذه الآراء ليرد بها على بعض النحاة دونما إشارة إلى أنها من كلام شيخه، وأمثلة هذا الجانب كثيرة مستفيضة في الكتاب.

٢- أن ينقل عن شيخه رأياً يعقب فيه على رأي عالم من العلماء، فيذكر الرعيني رأي شيخه، ثم يعقب عليه بما يراه، دون أن يرده صراحة.

مثاله: قوله في الكلام على المصدر واسم المصدر:

«وجعل [أي أبوحيان] من المصادر ألفاظاً، جعلها ابن مالك من أسماء المصادر كـ«الوضوء» و«الغسل»، وجعل من أسماء المصادر ألفاظاً جعلها ابن مالك مصادر كـ«عون» من أعان، و«عشرة» من «عاشر»، و«كبر» من «تكبر»، و«عمر» بفتح العين وسكون الميم من «عمَّر» بالتشديد. فهذه عند ابن مالك مصادر، وعند الشيخ أبي حيان أسماء مصادر.

قلت: وقول الشيخ أبي حيان: إن القاعدة التي ذكرها ابن مالك في اسم المصدر تؤدي إلى أن تكون أسماء المصادر أكثر من المصادر، مبني على أن ما خالف القياس أكثر مما جاء على القياس».

ثم يعقب الرعيني على رأي شيخه قائلاً: «ويحتاج هذا إلى استقراء وتتبع».

وقد ينقل عنه رأياً أو موقفاً ما، ولكنه يرده. ومن أمثلته: قوله في باب حبذا:

«واستشكل الشيخ أبوحيان دخول «لا» على «حبذا» وقال: لأنك إما أن تفرع على أن «حبذا» كله فعل، أو «حب» فعل و«ذا» اسم، وكلاهما لا تدخل عليه «لا»...

قلت: إن صح دخول «لا» على «حبذا» من الكلام، فلا معنى لهذا الترديد، ولا يسع إلا قبوله وتوجيهه، لا رده واستشكاله.

٣- أن ينقل آراء شيخه واعتراضاته دون أن يعلق عليها، ولعله يرتضيها، ومن أمثلة ذلك قول الرعيني في التعليق على تعريف ابن مالك للصفة المشبهة الذي قال فيه: «هي الملاقية فعلا لازماً، ثابتاً معناها تحقيقاً أو تقديراً، قابلة للملابسة والتجريد والتعريف والتنكير بلا شرط».

قال الرعيني: «.. واحترز صاحب الحد بالملابسة والتجريد من (أب) و(أخ)؛ لأنهما وصفان لا يقبلان الملابسة والتجريد؛ لأنه إذا كان عمرو أخا زيد، فلا يمكن أن

يتجرد عن أخوته، قال الشيخ أبوحيان: ولا ينبغي أن يحترز منهما؛ لأنهما لم يدخلا تحت جنس الحد الذي هو «الملاقية فعلا»، ألا ترى أنهما لم يلاقيا فعلا بمعناهما، فلم يدخلا تحت الجنس فيتحرز منهما».

ولم يعلق الرعيني على اعتراض شيخه.

موقفه من أبي حيان من خلال متابعاته لابن مالك:

كان للرعيني رحمه الله موقف حميد من خلال مواقفه من أبي حيان وابن مالك، فقد كان نزيهاً في أحكامه، لم يتعصب لشيخه، ولم يعترض عليه دون مسوغ أو دليل واضح البرهان، وقد عرض المصنف للمسائل التي تعقب فيها أبوحيان ابن مالك وكان له فيها أحد المواقف التالية:

١- إما أن يقف إلى جانب شيخه أبي حيان، فيؤيد موقفه، ويعضد رأيه.

٢- وإما أن يقف إلى جانب ابن مالك ضد شيخه.

٣- وإما أن يعرض الرأيين كليهما، ويبدي رأياً وسطاً بينهما، أو أنه يسكت فلا يؤيد ولا يعارض.

وسوف أمثل لكل جانب من هذه الجوانب بغية الإيضاح والتبيين، فأقول:

مثال الموقف الأول (وهو وقوفه إلى جانب شيخه) ما جاء في أثناء حديثه عن معمول أفعل التفضيل إذا كان منصوباً، حيث إن البصريين يجعلونه منصوباً بفعل مقدر؛ لأن أفعل التفضيل ضعيف عن العمل، فلا ينصب بنفسه، وإن جاء ما يوهم ذلك أول على إضمار فعل، ومنه قول الشاعر:

فما ظفرت نفس امرئ يبتغي المنى بأبذل من يحيى جزيل المواهب

قال الرعيني: فـ «جزيل الواهب» ليس منصوباً بـ «أبذل» بل بفعل مضمر أي: يبذل، وعلى هذا خرج ابن مالك قوله تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤] فجعل «حيث» مفعولاً به نصبه فعل مقدر يدل عليه «أعلم»، التقدير: يعلم مكان جعل رسالاته.

قال الشيخ أبوحيان: ويلزم منه إخراج «حيث» عن الظرفية، وهي من الظروف التي لا تخرج عن الظرفية البتة، وخرج الآية على أنها باقية على الظرفية، وأن العامل فيها «أعلم».

فإن قيل: يلزم منه أن يكون في مكان أعلم منه في مكان آخر؟

فالجواب: أن هذا من مفهوم الظرف، وهو ضعيف، وقد قام الدليل على أن علمه تعالى غير مقيد بمكان، فلا تخرج حيث عن الظرفية لأجل هذا المفهوم الضعيف الذي قام الدليل على منعه».

فهنا أيد الرعيني شيخه أبا حيان في تخريج (حيث) من الآية الكريمة برد ما قد يثار على قول شيخه من اعتراض.

وأما الموقف الثاني (وهو وقوفه إلى جانب ابن مالك ضد شيخه) فقد كان الرعيني فيه حكماً نزيهاً، لم تأخذه العصبية لشيخه، بل وقف وقفة العالم المنصف، وقد عرض الرعيني في بعض كلامه بتحامل شيخه على ابن مالك، فقال في باب اسم الفاعل بعد أن أورد اعتراض أبي حيان على تعريف ابن مالك لاسم الفاعل: «وكثيراً يعترض عليه في مثل هذا، ولا طائل فيه؛ لأن النحوي إذا تكلم في مثل هذا، إنما غرضه البيان، فيتسامح ويأتي بما لم يصطلحوا عليه».

وأمثلة هذا الجانب كثيرة في الكتاب، ويطول بنا المقام إذا قمنا بحصرها، لذلك سوف أكتفي منها بمثال واحد يفصح عن باقيها:

قال أبوجعفر في مسألة حذف حرف النداء من النكرة المقصودة، حيث منعها البصريون، وإذا جاء منه شيء فهو عندهم شاذ أو ضرورة:

«وأجازه ابن مالك على قلة، واستدل بما روي عن النبي ﷺ: «اشتدي أزمة

تنفرجي»[1] التقدير: يا أزمة، ثم حذف حرف النداء، وهي نكرة مقصودة، وبقول موسى عليه السلام: «ثوبي حجر» التقدير: يا حجر، فحذف حرف النداء وهو نكرة مقصودة. قال ابن مالك: وهذا من أفصح الكلام».

أورد الرعيني اعتراض أبي حيان على قول ابن مالك هذا فقال:

«قال الشيخ أبوحيان: صدق إذا ثبت كونه من لفظ رسول الله ﷺ».

ثم عقب الرعيني على اعتراض شيخه ورده، وأيد ابن مالك فيما ذهب إليه فقال: «قلت: وهذا من الشيخ أبي حيان كلام فيه غلط، لا يليق بالمقام، ومستنده أن الحديث النبوي يجوز نقله بالمعنى، فلعل هذا مما نقل بالمعنى، فلا يكون لفظ الرسول، وهذه طريقته في الاستشهاد بالحديث النبوي، وهذا المستند ليس قوياً؛ لأن نقل الحديث بالمعنى لا يكون إلا للصحابي، لا لمن بعده، وهذا هو التحقيق في نقل الحديث بالمعنى، لا يجوز إلا للصحابي... وإذا كان كذلك فهو حجة؛ لأن ناقله عربي.. ».

ولم يكتف الرعيني بذلك، بل أردف ذلك بأمثلة من كلام العرب شعراً ونثراً، تؤيد هذه المسألة التي أجازها ابن مالك.

الموقف الثالث (وهو سكوته عن كلا الرأيين، أو إعطاؤه رأياً وسطاً بينهما):

وقف أبوجعفر في بعض المسائل، فلم يؤيد أحد الطرفين (شيخه أو ابن مالك)، ومثال ذلك ما جاء في مسألة حذف الاسم المنصوب بعد نِعْم وبئس، واستدلال ابن مالك على جوازه، قال الرعيني:

«واستدل ابن مالك بقوله ﷺ: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت» وقدر: فبالسنة ونعمت السنة سنة، قال : فأضمر الفاعل على شريطة التفسير، وحذف التمييز للعلم

(١) هذا حديث موضوع رواه القضاعي والديلمي في الفردوس، [المجلة].

به، وتعقب الشيخ أبوحيان عليه هذا التقدير فقال: إنه ليس بجيد؛ لأنه قدم فيها المخصوص على التمييز، قال: وصحة التقدير: ونعمت سنة السنة».

سكت الرعيني على تعقيب شيخه، ولم يبد رأياً بتأييد أو معارضة.

ومثال ما أبدى فيه رأياً وسطاً بين الرجلين قوله في مسألة عدم الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي؛ لأنهما كالصلة والموصول، وما جاء مما يوهم ذلك أول، قال:

«وأما قول الشاعر:

ليت شعري إذا القيامة قامت ودعى للحساب أين المصيرا

فبين الإمام أبوالسعادات هبة الله بن الشجري أن «المصير» منصوب بـ «شعري»، وظاهرة الفصل بينما بـ«أين» وتأوله على أن «أين» خبر ابتداء محذوف، وهو متقدم من تأخير التقدير: ليت شعري المصير أين هو، قال ابن مالك: وأسهل من ذلك أن يكون التقدير: أين نصير المصير، فيكون (المصير) مصدراً».

علق الشيخ أبوحيان على قول ابن مالك قائلاً: «وقول ابن مالك: (وأسهل من ذلك) دليل على تجويزه ماقاله الشجري، وهو لا يجوز؛ لأن (شعري) في «ليت شعري» إنما استعملته العرب متعلقاً عن جملة الاستفهام، ولم يلفظ له بمنصوب، فتجويزهما أن يكون (المصير) معمولاً لـ (شعري) - فيحتاج إلى تأويله - خطأ وخروج عن لسان العرب، فيتعين على هذا أن ينصب (المصير) بفعل محذوف. انتهى وفيه بعض زيادة».

أبدى أبوجعفر الرعيني بعد تعليق شيخه رأيه فأعطى رأياً ثالثاً ليخرج من هذا الخلاف فقال:

«قلت: وأقرب من هذا كله أن يقدر فقل يعمل في «المصير» وفي «أين» التقدير: أين نجد المصير، ويكون «شعري» معلقة عن العمل» والله أعلم.

ثالثاً: موقفه من شراح الألفية:

أفاد أبوجعفر الرعيني ممن سبقه من شراح الألفية كابن الخباز، والشريشي، وابن القواس، والنيلي، وابن النحوية، وابن بابشاه، فنقل أراءهم، وذكر بعض النقول عنهم، وأقر بفضل سبقهم إلى شرح (الدرة الألفية) فقال في مقدمة الكتاب:

«ثم كنت أخير من جرى في حلبتهم على قصور باعه، وجاء بعد انفضاض سوقهم فلم يجد مشترياً لمتاعه، ولكني أردت أن أنظم في عقدهم، وأجمع ما تفرق من فوائدهم من بعدهم».

ومن الذين أكثر الرعيني من النقل عنهم ابن النحوية، والنيلي، وابن القواس، وابن الخباز، والشريشي وغيرهم، وكان لأبي جعفر الرعيني معهم وقفات ومناقشات، ظهرت فيها شخصيته النحوية واضحة جلية، فقد انقسمت مواقفه تجاههم إلى الموافقة والتأييد، أو المعارضة والتفنيد، ولن أطيل الوقوف في هذا المبحث؛ لأنه يمكن رد أغلب ما فيه إلى المباحث الأخرى في هذا الفصل، إلا أنني آثرت إفراد شراح الألفية هنا بالذكر؛ لوجود صلة وصل بينهم وبين أبي جعفر (وهي اجتماعهم في شرح الدرة الألفية)، ولأني رأيت أبا جعفر يقف معهم وقفات متكررة وخاصة في خاتمة كل باب، حين يفسر الفاظ الألفية، فيعرض إلى كل ما أثير من اعتراضات حول نص الألفية والفاظها، ويقف معها وقفات، من ذلك:

ما نقله من قول ابن القواس وابن النحوية في قول الناظم:

وما لنا اسم فيه لام وألف نودي بلا أي سوى الله وصف

قال الرعيني: «... وقوله: «وصف» هو فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله، وهو في موضع الصفة لـ«أي»، فالضمير المرفوع فيه عائد إلى «أي»، فالتقدير: وما لنا اسم فيه لام وألف نودي بلا «أي» موصوفة سوى «الله»، ويلزم منه الفصل بقوله: «سوى الله» بين الموصوف وصفته، وحصل بسبب ذلك في البيت تعقيد لفظي. وعلى هذا خرجه ابن النحوية وابن القواس».

قال الرعيني: «والذي أراه أن يكون: «وصف»؛ فعل أمر، والواو عاطفة، فتكون مفتوحة، ونتخلص من موجب الفصل، فيكون التقدير: وما لنا اسم فيه لام وألف نودي بلا أي سوى الله، ثم قال: وصف أيا إذا ناديتها».

رابعاً: موقفه من سائر النحاة:

كان الرعيني - كما أسلفنا سابقاً - على جانب كبير من تبجيل العلماء وحبهم واحترامهم، فلا ينعتهم إلا بأحسن الألفاظ وأجملها، ويحمل كثيراً من مواقفهم على أوجه مقبولة، فإن سها أحدهم في رأي من الآراء، أو رأى من أحدهم تعصباً لمذهب، أو جنوحاً عن جادة الصواب، أظهر ذلك بلطيف العبارة، وبين وجه الحق والصواب فيه، إلا أن كل ذلك لم يمنعه من مناقشة تلك الآراء التي ينقلها، والتعقيب عليها، ومن خلال استنطاقي لنصوص الرعيني في الكتاب، وجدت بصماته واضحة، فلم يكن مجرد ناقل وحاك لكلام الأقدمين، بل نراه يعارض ويناقش ويصحح ويوهن، على ضوء ما تتضح له الرؤيا في المسألة، فنراه يقول معقباً: وهذا اعتراض مقبول، أو هذا وهم فاحش، أو هذا باطل، أو هذا ضعيف، يستند في كل ذلك إلى الدليل والبرهان، وقد يطلق بعض الأحكام دون تعليل كأن يقول: وفيه نظر، أو: وفي هذا ما تراه، وما أشبه ذلك، وقد يرتضي الرعيني تعقيب شيخه أبي حيان فينقله في تعقيباته على بعض الآراء، وهذه نماذج لبعض مواقفه من العلماء.

مع الفرّاء:

وفي رده على رأي للفراء، يقول المصنف في نداء (أي): «الوجه الرابع: أن (ها) التنبيه إذا وقع بعدها اسم الإشارة، فلا بد من إثبات الألف بعد الهاء، فإن لم يقع بعدها اسم الإشارة، فاللغة الفصيحة إثبات الألف، وقد يحذف وتضم الهاء فتقول: يا أيه الرجل، قال الفرّاء: هي لغة بني مالك من بني أسد، وهي شاذة لا تدخل في القرآن لشذوذها.

قلت: وعلى هذه اللغة كتبوا: ﴿أيه الثقلان﴾ و﴿أيه الساحر﴾ بغير ألف بعد الهاء، وبهذه اللغة قرأ ابن عامر في السبعة ﴿أيه المؤمنون﴾ و﴿ياأيه الساحر﴾ و﴿أيه الثقلان﴾ فضم الهاء في الوصل، ووقف بسكون الهاء وفي ذلك أوضح رد على الفراء، إذ نفى دخولها في القرآن».

مع المبرد:

من رده وتعقيبه على رأي للمبرد، ما جاء في باب صيغ المبالغة، حيث ذهب المبرد إلى أن «عضادة سمحج» في قول الشاعر:

أو مسحل شنج عضادة سمحج

منصوب على التشبيه بالمفعول به، فيكون من باب الصفة الشبهة باسم الفاعل، ورد ذلك بأن المنصوب في باب الصفة المشبهة لا يكون أجنبياً من الموصوف، بل يكون له أو لمن هو من سببه، قال الرعيني متعجباً من موقف المبرد هذا فقال عقب ذلك: «والعجب من المبرد كيف غاب عنه مثل هذا، وحبك الشيء يعمي ويصم».

مع الزجاجي:

وفي تنبيه على وهم لأبي القاسم الزجاجي يقول في باب الصفة المشبهة: «فإن كانت الصفة بلا ألف ولام نحو: مررت برجل حسن وجهه، فحكمه ما تقدم في الصفة إذا كانت بالألف واللام، إلا أن الجر هنا أجازه سيبويه في الشعر، ومنعه المبرد مطلقاً، وأجازه الكوفيون مطلقاً...

قلت: ومما تقدم من الخلاف في هذه المسألة، يعلم وهم أبي القاسم الزجاجي في قوله في «الجمل»: إن سيبويه أجاز: حسن وجهه، ولم يتابعه أحد على ذلك، وكيف يقول هذا والكوفيون وكثير من البصريين يجيزونه».

بين ابن الباذش وأبي حيان:

ويقف المصنف من شيخه أبي حيان وابن الباذش موقفاً نزيهاً، فنراه يحكم بينهما بما اتضح له من الصواب، فيقول في تابع (أي):

«الوجه الثاني: أن صفة «أي» إذا كانت بالألف واللام الجنسية فهي مرفوعة خلافاً للمازني، فإنه أجاز فيها النصب..

وقال ابن الباذش: إن النصب مسموع عن العرب، قال الشيخ أبوحيان: ولا أدري من أي موضع نقل هذا.

قلت: هذا من الشيخ أبي حيان استبعاد أن يطلع أحد على شيء لم يطلع هو عليه، وهذا ليس ببعيد، فإن كلام العرب متسع، والناقل ثقة، وجواز المازني له لا ينبغي إلا عن سماع؛ لأن القياس فيه بعيد».

مع السهيلي:

ويعلق المصنف على رأي للسهيلي في العامل في الاسم المنصوب بعد أسماء الأفعال المنقولة من الظروف والمجرورات فيقول:

«وذهب السهيلي إلى أن النصب بالمعنى لا بلفظ الظرف والمجرور، واستدل على ذلك بأمر فيه غموض ودقة، ليس تحتها طائل.. ».

مع ابن عصفور:

وينبه على وهم لابن عصفور في قول الشاعر:

أظلوم إن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

قال: «فرجل مفعول بـ«مصابكم» لأنه اسم للإصابة؛ أي: إصابتكم رجلاً، و«ظلوم» منادى، و«ظلم» خبر إن، و«تحية» بدل من «السلام» أو حال منه، وجعل

ابن عصفور «مصاباً» في البيت من أسماء المصادر التي هي غير قياسية، وهو وهم فاحش؛ لأنه من أسماء المصادر التي تقاس كالمعاد والممال».

ويقوله أيضاً في قول الشاعر:

ومن يك منحل العزائم يافعاً هواه فإن الرشد منه بعيد

قال: «فـ«منحل» جار على «ينحل».

قال ابن عصفور: هذا على من يقول: إن الصفة المشبهة بمعنى الحال، أما من يقول: إنها بمعنى الماضي، فلا تكون جارية على المضارع أبداً؛ لأنها ليست بمعناه.

قلت: هذا منازعة في المحسوس، فإنه لا يمكن أن يقال: إن «منطلق اللسان» وإن كان بمعنى الماضي غير جار على «ينطلق» في اللفظ، وهل ذلك إلا كمن يدعي رفع الواقع، فكون معناها معنى الماضي، لا يرفع جريانها على المضارع في الحركات والسكنات.. ».

مع ابن مالك:

وفي تعقيبه على ابن مالك قال: «وأما ماجاء في حديث الحوض من أن ماءه أبيض من اللبن، فيخرجه ابن مالك على وجهين:

أحدهما: أن يكون من باض الشيء الشيء؛ إذا فاقه في البياض، قال: فالمعنى على هذا: أن غلبة ذلك الماء لغيره من الأشياء المبيضة، أكثر من غلبة بعضها بعضاً، فـ«أبيض» بهذا أبلغ من: أشد بياضاً.

الثاني: أن يكون أبيض على بابه، إلا أن «من» [لا] تتعلق به، وإنما تتعلق بمحذوف دل عليه «أبيض»، أي: ماؤه أبيض أخلص من اللبن.

قلت: والتأويل الأول بعيد عن اللفظ، لا ينبغي أن يقال به مع كثرة ما جاء من ذلك».

مع ابن الناظم:

وقال في التعليق على بدر الدين ابن الناظم في تعليقه على تعريف والده للصفة المشبهة: «وقد ناقش بدر الدين بن مالك والده جمال الدين في هذا الحد فقال: يلزم منه الدور؛ لأن صلاحية الإضافة إلى ما هو فاعل في المعنى، متوقف على معرفة كونها صفة، وهو متوقف على صلاحية الإضافة إلى ما هو فاعل في المعنى ، فجاء الدور.

قلت: لو كانت هذه المناقشة صحيحة، كان حقه أن يلتمس لها مخرجاً، أو يسكت عنها أدباً مع أبيه، فكيف وهي ليست بصحيحة... ».

مذهبه واختياراته النحوية:

يغلب على آراء الرعيني النزعة البصرية، فقد كان يميل في أحكامه النحوية إلى مذهب أهل البصرة، وينزع إلى مدرستهم، وقد كانت آراء علمائها وتواليفهم منهلاً عذباً له، يظهر ذلك جلياً من كثرة أخذه بتلك الآراء، وتأييده لإمام النحاة وأساطين هذه المدرسة، وترجيحها على مذهب أهل الكوفة حين عرضه لمسائل الخلاف بينهما، وهذا أمر في غاية الوضوح، وأمثلته كثيرة مستفيضة في أسفار هذا الشرح، ودلائل ذلك من ألفاظه أيضاً واضحة في مثل قوله: «وهذا لا يجيزه أحد من النحويين البصريين»، وقوله: «وهذا القول هو المعول عليه؛ لأن عليه جادة البصريين».

أما طريقته في عرض مسائل الخلاف، فهو في الغالب يذكر رأي الطرفين في المسألة، ويرد على كلام الكوفيين مع تصريحه بميله إلى المذهب البصري، كمثل كلامه على نعم وبئس من حيث الاسمية والفعلية.

وربما لا يصح بموقفه من المسألة الخلافية، مكتفياً بالرد على أدلة الكوفيين وتفنيدها، مثال ذلك قوله في تقديم معمول اسم الفعل عليه:

«اختلفوا في تقديم معمول اسم الفعل عليه؛ فذهب البصريون أنه لا يجوز، فلا

يقال في «رويد زيداً»: زيداً رويـد، ولا في «عليك زيداً»: زيداً عليك؛ لأن عملها ضعيف، فلا تتصرف تصرف أفعالها.

وذهب الكوفيون - إلا الفرّاء - أنه يجوز تقديم المعمول عليها قياساً على اسم الفاعل».

وقليلاً ما يعرض لمذهب المدرستين فيكتفي بمجرد العرض وذكر الأدلة، دون ترجيح أو انحياز لطرف، قال في مسألة كون أفعل التفضيل بعضا مما يضاف إليه:

«فمذهب البصريين أنه يتعين أن يكون بعض ما يضاف إليه، ومذهب الكوفيين أن ذلك لا يلزم، فإذا قلت: يوسف أحسن إخوته، لم يجز عند البصريين؛ لأن يوسف ليس بعض إخوته، بدليل أن إخوة يوسف لا يدخل فيهم يوسف، وبدليل أن إضافتهم إلى ضميره، فلو كان بعضم لجاز إضافتهم إلى ضميره؛ لما يلزم منه من إضافة الشيء إلى نفسه؛ لكونه داخلاً في جملتهم، والضمير ضميره، فيلزم أن يكون مضافاً إلى ضميره، ويجوز على مذهب الكوفيين إذ لا يشترطون أن يكون أفعل بعض ما يضاف إليه، فلو قلت: يوسف أفضل الإخوة، جاز عند الجميع؛ لخلوه من الإضافة إلى الضمير التي توجب إضافة الشيء إلى نفسه».

أما فيما يتعلق بالمسائل الخلافية الفردية بين النحاة، فقد كان أبوجعفر في غالب أمره يبين موقفه منها، فيؤيد أحد الأقوال مرجحاً له على غيره، قال في مسألة إتباع مجرور المصدر على المحل، حيث عرض لها المصنف وفصل أقوال النحاة فيها:

«فإن كان على المحل - ومحله رفع ونصب - ففي الاتباع عليه ثلاثة مذاهب:

الأول: لسيبويه ومحققي البصريين: أنه لا يجوز...

الثاني: للكوفيين وجماعة من البصريين منهم ابن مالك: أنه يجوز...

الثالث: لأبي عمر الجرمي: أنه يجوز الإتباع على المحل في العطف والبدل، ولا يجيزه في النعت والتأكيد...

وقد استدل من أجاز الاتباع بالسماع.. ».

ثم أتبع المصنف ذلك برأيه ومال إلى مذهب من قال بجواز الإتباع على المحل، وسوف نعرض لاختياراته في مبحث خاص آتٍ عما قريب إن شاء الله تعالى.

وقد يعرض الرعيني لمسائل الخلاف غير المذهبية دون ترجيح لرأي على آخر، مثاله قوله في أسماء الأفعال، ألها موضع من الإعراب أم لا؟ قال:

«اختلفوا في هذه الأسماء، هل لها موضع من الإعراب أو لا؟ فذهب الأخفش أنه لا موضع لها من الإعراب، وهو ظاهر كلام ابن مالك، وذهب سيبويه والمازني والدينوري إلى أنها في موضع إعراب، والقولان عن الفارسي».

إلا أن الرعيني كان حراً في تفكيره وآرائه، يتبع فيها من ظهرت له قوة أدلته، وصواب براهينه، فلم تمنعه متابعته لإمام النحاة وغيره من أئمة أهل البصرة، من أن يخرج عن هذا المألوف الشائع في كتابه، وعن هذا النهج الذي انتهجه لآرائه، فرأيته في غير موضع يأخذ برأي أهل الكوفة مرجحاً إياه على المذهب الآخر، ومن المسائل التي أيد فيها المذهب الكوفي:

١- معمول الصفة المشبهة إذا كان نكرة أو مضافاً إلى نكرة، وكانت الصفة بأل غير مثناة ولا مجموعة، ولم يصرح بالرابط نحو: مررت بالرجل الحسن وجه، فعند البصريين يجب النصب، ولا يجوز الجر؛ لإضافة ما فيه الألف واللام إلى ما ليس فيه الألف واللام، ولم يحذف للإضافة شيء، ولا يجوز الرفع؛ لخلوه من الرابط عند جمهور البصريين، وأجازه الكوفيون، ومال المصنف إلى مذهبهم فقال: «والسماع يشهد لهم».

٢- أخذ برأي الكوفيين في مسألة اتباع مجرور المصدر على الموضع، وهي مسألة منعها سيبويه ومحققو البصريين، قال الرعيني بعد أن أورد عدداً غير قليل من الأدلة المسموعة التي تؤيد مذهب الكوفيين قال: «قلت: والحق أنه يجوز أن يتبع مجرور المصدر على الموضع؛ لهذا السماع الفاشي الذي لا يقبل التأويل إلا على بعد، كما رأيت في تأويل ما تقدم».

أما عن اختياراته:

فقد كانت لأبي جعفر شخصية واضحة، وبصمات جلية في هذا الكتاب، وقد تمثل ذلك بوضوح في مناقشته لآراء العلماء، وتعليلاته، وتخريجاته، ووقوفه موقفاً، في مسائل خلافية، وقد سبق الكلام حول بعض ذلك.

ومن بصمات الرعيني التي ميزت شخصيته العلمية، في هذا الشرح اختياراته التي نص عليها في كثير من المسائل التي تعرض لها، وفي غالبها كان يختار رأي سيبويه. وهذه نماذج منها:

* اختلف النحويون في حذف المنصوب بعد نعم وبئس:

١- فذهب سيبويه[١] أنه لا يجوز حذفه، وإن فهم المعنى؛ لأنه جعل مفسراً للضمير الفاعل.

٢- وذهب ابن عصفور[٢] وابن مالك[٣] إلى أنه يجوز حذفه للعلم به، استدل ابن عصفور بما ورد من كلامهم: إن فعلت كذا وكذا فبها ونعمت..

٣- وذهب ابن العلج إلى التفريق بين أن تلحق الفعل تاء التأنيث، فيجوز حذفه، وأن لا تلحقه فلا يجوز[٤].

اختار أبوجعفر مذهب سيبويه، قال: ومذهب سيبويه هو الصحيح.

---

(١) انظر الكتاب (٢/ ١٧٦).

(٢) انظر «شرح الجمل» (١/ ٦٠٢)، و «المقرب» (٧٠-٧١).

(٣) انظر «شرح التسهيل» (٣/ ١٤).

(٤) نقله عنه أبوحيان في «التذييل والتكميل» (٣/ ١٦٣) (مخطوط)، وانظر «المساعد» (٢/ ١٣٠).

*** اختلف النحويون في الفاعل من قولنا: (نعم رجلاً زيد):**

١- فذهب سيبويه[١] ومعظم البصريين إلى أنه ضمير مستتر في (نعم) و(رجلاً) تفسير له، التقدير: هو رجلا زيد، قال الله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [الكهف:٥٠] ففي «بئس» ضمير هو الفاعل، و«بدلا» مفسر له.

٢- وذهب الكسائي والفراء[٢] إلى أن الفاعل هنا لا يكون مضمراً، وإنما هو المقصود بالمدح والذم، واختلفا في المنصوب بعد (نعم)؛ فقال الكسائي: حال، وقال الفرّاء: تمييز...

٣- وذهب باقي الكوفيين إلى أنه ليس هناك فاعل لا ملفوظ ولا مقدر؛ لأن الكلام في معنى ما لا يحتاج إلى فاعل، فهو في معنى قولنا: زيد الممدوح.

٤- لابن الطراوة[٣] أن الفاعل محذوف، والأصل: نعم الرجل رجلاً.

وقد اختار الرعيني قول سيبويه حيث قال عنه: وهذا القول هو الصحيح، ورد ما عداه بأن الفعل لابد له من فاعل، والفاعل لا يحذف؛ لأنه عمدة في الكلام، أما قول الكوفيين فقد بسط القول في رده في مكانه من الشرح.

(تابع للمصدر الذي يكون بدلاً من لفظ الفعل:

اختلفوا في الناصب للمصدر هنا فقيل: فعل من لفظه واجب الإضمار، فهو منصوب على المصدر، التقدير: اضرب ضرباً زيداً.

وقيل:انتصابه بفعل من غير لفظه واجب الإضمار على أنه مفعول به، التقدير: التزم ضرباً زيداً، ونسب إلى سيبويه[٤].

---

(١) «الكتاب» (٢/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) انظر «التذييل والتكميل» (٣/ ١٦٣)، و«ارتشاف الضرب» (٣/ ٢٠)، و«منهج السالك» (٢/ ٣٩٠).

(٣) «التذييل والتكميل» (٣/ ١٦٢)، وقد وافقه علي بن مسعود الفرخان في كتابه «المستوفى» (١/ ١١١).

(٤) نسبه إليه ابن هشام الخضراوي في «الإفصاح».

واختار أبوجعفر الأول فقال: والأول أصح.

* في الألف واللام الداخلة على المصدر:

اختلف في هذه الألف واللام، هل هي للتعريف، أو زائدة؟، وينبني ذلك على الخلاف القائم في المصدر المنون؛ فمن قال[1]: إنه نكرة، قال: إن الألف واللام إذا دخلت عليه للتعريف، ومن قال[2]: إنه معرفة، فالألف واللام إذا دخلت عليه زائدة، كدخولها على المعارف.

واختار الرعيني الرأي الأول، وهو كون الألف واللام للتعريف، وصححه.

أثر هذا الشرح في الخالفين:

لم يحظ شرح الرعيني بشهرة واسعة كما حظيت به تصانيف شيخه أبي حيان، علماً بأن الرعيني كان كثير التطواف في البلدان، إلى أن استقر به المقام في مدينة حلب، فأم بها ثلاثين سنة مجداً في الأشغال والاشتغال مع رفيقه ابن جابر الهواري، تضرب إليهما آباط النجب، كما رحل إلى المدينة النبوية، وجاور فيها مرتين، وانتفع به أناس كثير، وقرئت عليه هناك بعض الكتب، في العربية والحديث وغيرهما.

أقول: مع كل هذا، لم يحظ شرح الرعيني على ألفية ابن معط بما يليق به من شهرة وسيرورة، إلا أنه ترك أثراً في الخالفين بعده، وبعد البحث والتنقيب تهديت إلى بعض النقول عنه، وهذا بيانها:

نقل عنه ابن الحنبلي رضي الدين محمّد بن إبراهيم الحلبي المتوفى سنة (٩٧١هـ) في جل مؤلفاته ومنها: «عقد الخلاص في نقد كلام الخواص»[3].

---

(١)وهو قول الجمهور.

(٢)وهو قول ابن أبي الربيع.

(٣)انظر صفحة: (٢٤٤)منه.

ويجدر بنا هنا أن نشير أولاً إلى أن محقق هذا الكتاب قد وهم، حين ترجم لأبي جعفر الرعيني، فقال: هو أبو جعفر أحمد بن سعد المتوفى (٧١٢هـ)، كما أنني أشير إلى سوء إخراج هذا الكتاب، حيث جاء مليئاً بالأخطاء والتصحيفات، إضافة إلى أنه خال من أهم الأعمال التي تناط بالمحقق ألا وهو عمل فهارس، تكشف عن فوائد الكتاب ومخبآته، ومن ثم فقد لقيت عنتاً في تتبع صفحاته، للوقوف على أثر أبي جعفر فيه، ومثله يقال من حيث الفهارس في كتاب «سهم الألحاظ» والله المستعان.

أما عن نقوله عن شرح الرعيني، فقد وقفت فيه على عدة مواضع، وهي على النحو التالي:

١- قال ابن الحنبلي[1]: «... وأما ثانياً فلقول أبي جعفر الغرناطي: إنك إذا قلت: جاء القوم ثلاث، فهم العدد والتقسيم، ولا يفهم من ثلاثة إلا العدد، فإن أردت التقسيم كررت فقلت: جاء القوم ثلاثة ثلاثة».

٢- وقال في أثناء حديثه عن استعمال (سداس): «وممن ذهب إليه ابن خروف، وذلك أنه ذهب إلى جواز بناء فعال ومفعل من واحد إلى عشرة، ونسبه إلى الأكثرين، وصححه أبوحيان كما ذكره الغرناطي».

وهذان النصان يقعان في السفر الثامن، وهو من الأسفار التي لم نقف عليها من شرح الرعيني.

٣- وقال: «وقيل في قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ إنه يحتمل الوجهين؛ أي: يؤمل لقاء ربه، أو يخاف لقاء ربه. ذكر الغرناطي في «شرح الدرة الألفية» قال: وذكر ابن القواس إطلاقه على المعنيين المتقدمين مجازاً في الخوف، حقيقة في الأمل، وفسر الأمل بطلب الحصول مع خوف الفوت، فإذا أطلق على الخوف وحده دون طلب الحصول، كان إطلاق اللفظ على جزء من معناه، وهو من المجاز، ونفى أن

(١) «عقد الخلاص» (٢٤٤)

يكون حقيقة في المعنيين دفعاً للإشتراك؛ لأن اللفظ إذا دار بين الإشتراك والمجاز [1]، فإن المجاز أولى، قال: وهذا الذي قاله صحيح إن ساعده النقل عن أهل اللغة. انتهى» [2].

وهذا النص بلفظه موجود في السفر الأول من شرح الرعيني.

٤- قال [3]: «وذكر عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب قال: (ذاك الضبعة العرجاء) فعد ذلك عليه لحنا، كما نقل الحكاية المذكورة عنه الغرناطي..».

وهذا النص بلفظه في السفر الأول من هذا الشرح.

«سهم الألحاظ في وهم الألفاظ»:

وفي «سهم الألحاظ» نقل ابن الحنبلي عن الرعيني في موطن واحد من شرح الدرة الألفية، وجاء هذا النقل من السفر السابع، وهو قوله [4]:

«ومن ذلك قول بعضهم: (يا هو)فعن الشيخ أبي حيان أنه قال: وقول جهلة الصوفية في نداء الله: يا هو، ليس جارياً على كلام العرب، هذا كلامه. وحكم كلامهم في هذا المقام أن النداء يقتضي الخطاب، فلا يكون ضمير الغيبة وكذا ضمير التكلم منادى، وأما ضمير الخطاب ففيه خلاف؛ وظاهر كلام ابن مالك أنه يجوز، فتقول: يا إياك، ويا أنت، قال: ويا إياك هو القياس؛ لأن المنادى منصوب، فلا يكون إلا من ضمائر النصب، وأما «يا أنت» فشاذ، هذا كلامه.

وقد استشهد على ما جوزه من «يا إياك» و«يا أنت» بشاهدين، إلا أن الشيخ أبا حيان

---

(١) الراجح عند أهل السنة أنه ليس هناك شيء اسمه حقيقة ومجاز، [المجلة]

(٢)«عقد الخلاص» (٢٩٤)

(٣)«عقد الخلاص» (٢٩٦، ٢٩٨)

(٤)انظر «سهم الألحاظ في وهم الألفاظ» (٣٩)

قد تأولهما بما نقله الغرناطي عنه في محله من «شرح الدرة الألفية». وقد نقل أبوجعفر في السفر السابع.

«بحر العوام فيما أصاب فيه العوام»:

نقل ابن الحنبلي فيه عن الرعيني في موضع واحد وهو قوله[1]:

«ومن ذلك قولهم: كنت بالبيت وبالقرية، واستعنت بك ورضيت بك، ونحو ذلك مما فتحت فيه باء الجر مع غير ياء المتكلم، ففي «شرح الدرة الألفية» لأبي جعفر الغرناطي الأندلسي أنها إن جرت ياء المتكلم فاتفق العرب على كسرها، وإن جرت غيرها فاللغة الفصيحة كسرها؛ ليناسب لفظها عملها، سواء دخلت على الظاهر أو المضمر، قال: وحكي عن بعض العرب أنهم يفتحونها مطلقاً سواء دخلت على الظاهر أو المضمر غير ياء المتكلم».

وهذا النص في السفر الثاني من شرح الرعيني.

«ربط الشوارد في حل الشواهد»:

نقل ابن الحنبلي في «ربط الشوارد» عن شرح الرعيني في ثلاثة مواضع:

١- قال في أثناء حديثه على قول الشاعر:

ولو أن الأطبا كان حولي وكان مع الأطباء الأساة

قال[2]: «وكان بضم النون، أصله: كانوا بواو الجمع، وفيه الشاهد، حيث حذفت واو الجمع واكتفي بالضمة التي تدل عليها.

فإن قلت: هل هذا الحذف والاكتفاء، للضرورة أم لا؟ قلت: ليسا لها، بل هما لغة

(١)«بحر العوام» (١٢٦).

(٢) «ربط الشوارد في حل الشواهد» (٥٠).

لبعض العرب، على ما ذكره العلامة شهاب الدين أبوجعفر أحمد الرعيني الأندلسي الغرناطي في مباحث الفعل الماضي من «شرح الدرة الألفية».

وهذا ذكره الرعيني في السفر الأول من الكتاب.

٢- وقال[١]: «وفي «شرح الدرة الألفية» لأبي جعفر ما يقتضي أن «رب» تضمر بعد الفاء، وتكون الفاء عوضاً عنها، عاطفة تارة كما في قوله: «فمثلك» وجواباً أخرى.. » ونص الرعيني في السفر الثاني من الشرح.

٣- وقال[٢] في أثناء حديثه عن قول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

ونقل أبوجعفر في باب حروف الجر من «شرح الدرة الألفية» أن ابن الضائع جعل «بما لاقت» يتعلق بـ«تنمي» وجعل في «ألم يأتيك» ضميراً يفسره «بما لاقت».

وكلام الرعيني في هذا الموضع موجود في السفر الثاني من الشرح.

وبعد، فيرحم الله أبا جعفر الرعيني، ويرحم أسلافنا من هؤلاء العلماء العاملين الذين أفنوا جلّ أعمارهم في خدمة هذه اللغة الكريمة، لغة القرآن الكريم، ولم تشغلهم الدنيا وبهرجها عن ذلك، وجزاهم الله عن أهل العربية خير جزاء، ونسأله تعالى أن يسكنهم فسيح جناته، وأن يغفر لنا ولهم، إنه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) «ربط الشوارد» (١٣٠).

(٢) «ربط الشوارد» (١٤٥).